601
٦٠١

Eman
www.liilas.com

خيط من الماضي

Wahas
صادر عن دار م. النحاس

خيط من الماضي

لم يكن في نية الطبيب لوك مانينغ ان يقع في الحب، لكن عندما عرفه الأولاد الذين يعيشون في منزل بجواره على والدتهم إميلي كورنيل، لم يعد يستبعد الفكرة. كان لدى الأرملة الشابة الجميلة الكثير لتقدمه، وكان لديه الكثير ليمنحه، باستثناء قلبه. فقد فقده منذ أمد بعيد.

كان لوك الرجل الذي حلمت به إميلي. يتميز بالطيبة، يمد يد المساعدة، ورائعا مع الأولاد. كان يريد الصداقة. لكن إميلي كانت تريد أبعد من الصداقة. عندما قالت نعم أرادت الحب. وعرفت ان لوك قادرا على منحه لها. فقط لو وافق على علاقتهما المميزة

Emari
www.liilas.com

لبنان: ٣٠٠٠ ل.ل – سوريا: ١٠٠ ل.س – الكويت: ٧٥٠ فلس – البحرين: ١ دينار – قطر: ١٠ دراهم السعودية: ١٠ ريالات – الامارات: ١٠ دراهم – الاردن: ١.٥ دينار – المغرب: ٨ درهم مغربي سلطنة عمان: ١ ريال – تونس ٢ دينار

52-87000-34708-2

خيط من الماضي

بدا غريباً لإميلي ان الكثيرات يرغبن بالحصول على ما لديها رغم كرهها له. منزل، عمل، ولدان. وكان كل ما تريده هو البقاء في المنزل لتكون أما طوال الوقت. رفعت شعرها عن وجهها ونظرت من النافذة وتنهدت. مرة اخرى لم يتواجد الولدان في المنزل، مع انهما وعداها بالبقاء فيه.

توجهت نحو الباب، فهي تعرف اين تجدهما، على بعد خمسة ابواب من منزلها يلهوان على دراجتيهما وينتظران عودة الطبيب مانينغ الى منزله.

الفصل الأول

تصفح لوك مانينغ العناوين الرئيسية في الصحيفة، وقرأ بسرعة صفحة المحرر، ثم طواها ووضعها على طاولة المطبخ مجددا. لم يقرأ صفحة الأبراج، وما كان يقرأها. كان رجل علم. ولا يؤمن بأن تاريخ ميلاده قد يكون له تأثير على مجريات حياته، او يمكن التنبؤ بها عبر طريق الأبراج، ومواقع النجوم، وتأثيرها على عواطفه. وكيف يصدق المرء هذه الأقاويل وهي تتغير يوميا.

«صباح الخير دكتور مانينغ.» ابتسم مانينغ عندما سمع الصوت المألوف يلقي عليه تحية الصباح من الصبي ميشال كورنيل البالغ من العمر ست سنوات، وأخته سارة التي تبلغ خمس سنوات، وكان يقفان على الرصيف، امام صف المباني الطويل الذي يتألف منه المجمع السكني.

اجاب:«صباح الخير لكما يا ميشال وسارة.» أقفل بابه، وأخرج من جيبه قطعتي نقود، وناولها لهما.

هز الصبي رأسه نافياً وقال:«ماما تقول أنه يجب ألا نأخذ نقوداً منك يا دكتور مانينغ. فقد قالت إنه أمر غير لائق.»

رفع الطبيب مانينغ احد حاجبيه تعجباً وقال:«وماذا عن التحدث وملاعبة الكلب فريد من خلف السياج؟» كان يقصد كلبه الأليف الذي يمضي معظم وقته مسجونا في الفناء الخلفي لمنزل الطبيب مانينغ. وأضاف:«انا متأكد انكما ستلعبان مع الكلب سواء اعطيتكما نقوداً ام لا. أليس كذلك يا سارة؟»

اجابت الفتاة الصغيرة وقد مطت شفتها السفلى للأمام:«احب فريد، وهو يحبني لكن والدتي تقول...»

قال الطبيب:«اعلم ما تقوله الوالدة وهي دائماً على حق. لكن اتدريان؟ ليس لدي اشغال كثيرة اليوم. لذا سأعود مبكرا هذا اليوم. وسوف اتكلم مع والدك ووالدتك عندما أعود، وسنرى ان كنا نستطيع تدبير حل ما.»

قالت الطفلة:«ليس لدينا والد. إنه متوفي، لم أره ولا اعرفه. لكن والدتي أرتنا صوره.»

تذكر لوك انه سمع من احدهم انّ السيدة كونيل قد ترملت قبل ولادة سارة، وأجاب:«لا شك انها

صورة رائعة يا عزيزتي. حسناً. سأراكما الليلة وأتحدث مع والدتكما، لكن الآن يجب ان اذهب فقد تأخرت.»

قال ميشال:«هل ستجرح صبياً آخر اليوم يا دكتور مانينغ؟» وابتسم وظهرت اسنانه وكان يفقد سنين من اسنانه العلوية.

انحنى الطبيب على الطفل وأمسك بذراعه وقال:«لا تبتهج يا ميشال، لكن نعم، سأجري عملية جراحية اليوم. لكنه ليس تشريح الناس. كما تعلم. فالاطفال الذين أجري لهم عمليات هم مرضى ولديهم مشاكل يعانون منها تجعلهم غير سعداء. وأنا اعالجهم عن طريق الجراحة لأجعلهم سعداء مجددا، ليخرجوا ويلعبوا مثلك طوال اليوم. مفهوم؟»

عبس ميشال وهز برأسه موافقاً وقال:«طبعاً اعرف ذلك. انت تصلح الناس، مثل الرجل الذي جاء وأصلح غسالتنا الاسبوع الماضي، أليس كذلك؟»

تنهد لوك وقال بعد ان وقف مجدداً:«نعم يا ميشال. علىّ ان اعترف أني لم افكر بالأمر بتلك الطريقة إلى ان ذكرتني بها. اراكما لاحقا يا اولاد.»

قال ميشال:«ستحدث والدتي بالأمر الليلة، ربما ستقنعها ان تعطينا الحلوى من دون سكر.»
بينما كان مانينغ يتوجه الى سيارته قال:«ربما.»
لوح بيديه وغادر. تطلع إلى ساعته بعدما غادر المجمع السكني، متوجها الى المستشفى، كان لديه متسعا من الوقت، ليتحدث مع اهل المريض الذي يبلغ من العمر ستة اشهر.
لم يكن هناك من داع للتحدث معهم، وقد فسّر كل شيء بالتفصيل نهار أمس، عند إدخال الطفل الى المستشفى. لكن لوك يعرف ان الأهل يشعرون بطمأنينة أكبر إذا ما تفاعل معهم مجددا. لم يلم الأهل لقلقهم، او استاء من اسئلتهم الوقحة والسخيفة احيانا. الاطفال هم اثمن شيء في الوجود. وربما كان يشعر عشرة اضعاف القلق الذي كانوا يشعرون به. لو كان هو والد الطفل المريض الذي بحاجة لإجراء عملية. وأوقف سيارته في الموقف المخصص للأطباء.
حمل حقيبته ومضى الى المركز الاطباء، وفي عقله يراجع الخطوات التي يجب ان يتبعها هذا الصباح.

سمع صوت احد زملائه بينما كان يغادر المصعد:«مرحبا دكتور لوك.» وكان بن يدخل المصعد:«يجب ان نتوقف عن التقابل هكذا. ألديك يوم حافل؟»
اجاب مانينغ:«ثلاث عمليات وتجبير عظم ساق. قد يستغرق ذلك كامل الوقت حتى موعد الغداء، ماذا عنك؟»
اجاب بن:«اجريت عملية توليد لطفلة تبلغ اربعة كيلوغرامات.» ثم نزع قبعته ورداء الجراحة الأخضر وتابع مبتسما:«الغريب انهم في كلية الطب، لم يخبرونا ان الاطفال قد يولدون مع الفجر. سأغادر الى المنزل لأرتاح وأنام وأعود بعد الظهر الى المكتب. اتصلت بماري، لقد أعدت طعام الفطور، والآن هي في انتظاري. هذا من حسنات الزواج، عليك أن تجرب الأمر يا لوك، فقد ينقذك مما انت فيه من الوحدة. أراك لاحقا.»
اجاب لوك:«نعم، أراك لاحقاً.»
الجميع اصبح كوميديا ومهرجاً. ثم استدار ومشى نحو مكتبه، وفي طريقه مر بغرفة الممرضات.
قالت إحداهن:«صباح الخير دكتور مانينغ. اليوم

رائع أليس كذلك؟» ثم قالت اخرى:«وصلت في الوقت المحدد. اقول دائما للممرضات يمكنني ضبط ساعتي على موعد وصولك صباحا.» قالت ثالثة:«قهوتك جاهزة على مكتبك دكتور مانينغ.»

شكر لوك كل واحدة منهن، وأغلق خلفه باب مكتبه. رمى حقيبته على المقعد الجلدي، الذي غالبا ما استعمله كسرير للنوم. وحمل فنجان القهوة واتجه نحو النافذة.

لم يكن أمامه إلا مبنى المستشفى بطوابقه الستة، والبخار يتصاعد من غرفة الغسيل، مع فناء صغير يفصل بينهما.

كانت القهوة طازجة وحارة جداً، كما في كل صباح، على مدى إثنين وخمسين اسبوعا في السنة. اخذ يتساءل ألهذا الحد يمكن التنبؤ بتصرفاته. دائما يصل في الوقت المحدد. ايمكن ما قالته الممرضة بشأن الوقت إنه دقيق في مواعيده الى هذه الدرجة! نعم هو يصل باكراً، هذا إذا لم ينم في المكتب.

لقد عمل كل يوم خلال السنتين الماضيتين، من دون ان يأخذ إجازة، ومن دون تخصيص أي وقت لنفسه. هل جعل من نفسه

شخصاً سهل التنبؤ. وتذكر كلام الدكتور بن، بتصرفاته؟ ربما، لكنه لم يعجب بالكلمة سهل التنبؤ. الزواج مؤسسة كبيرة وعظيمة. يجب ان تجربه، فقد يخرجك مما انت فيه.

جلس على الكرسي، ومرر يده على شعره الذي كان يجب ان يقصه الأسبوع الماضي، لكن عملية استئصال الزائدة لأحد الاشخاص، كانت طارئة، منعته من قص شعره. لم يقصد بن من ملاحظته أي إساءة ومع ذلك شعر لوك ان مشاعره قد جرحت.

لم يكن ضد فكرة الزواج. ومنذ سنتين خطب فتاة من أجل الزواج وبن يعلم ذلك. الكل يعلم ذلك. لكن الخطوبة لم تنجح. تنهد لوك والتقط دعوة موجهة للأطباء لحضور الحفل السنوي التكريمي الراقص.

دعوة! الدعوة بقيت مرمية على المكتب لأكثر من اسبوع. وتذكر أن عليه ان يلبيها. فقد كانت معنونة الدكتور لوك مانينغ وضيفه. لم يواعد احدا منذ سنتين، فمن سيكون ضيفه يا ترى. فريد؟

لم تكن المسألة أنه لا يعرف نساء. كان يعرف الكثير، ممرضات، وطبيبات في المستشفى.

وكان يعتبر من العازبين المفضلين لطالبات الزواج. تذكر ما قالته إحدى الممرضات: انت مدهش جدا يا دكتور مع الاطفال. كل الاطفال يحبونك. كان يجب ان يكون لديك دزينة اولاد. والطريقة التي قالتها الممرضة الجذابة، وأسارير وجهها كلها كانت تعني، وأنا سعيدة بأن انجبهم لك. لكنه لم يعترف للممرضة، أنه يريد اطفالا، منه، وأنه لم يجد بعد المرأة التي تناسبه، خصوصا أنه لم يفتش عنها. ليس في السنتين الاخيرتين، وليس منذ ان فسخ خطوبته على جوليا.

انصبّ على عمله مستثنياً كل شيء آخر، وكل إنسان آخر.

تركزت حياته حول عمله، والمستشفى والمرضى، مما لم يترك الكثير من الوقت لنفسه. وبالتالي وقتا أقل للمواعدة.

قرأ لوك الدعوة، وكان يجب ان يرسل تاكيد الحضور خلال اليومين الباقيين. السنة الماضية اعتذر، لكن لا يمكنه الاعتذار مجددا. يجب ان يفعل شيئا وبسرعة.

نظر نحو الباب. يمكنه سؤال أي ممرضة لترافقه كضيفة. لم يكن يريد صداقة ولا مواعدة، بل

رفيقة تمضي معه السهرة وينتهي الأمر من دون أي التزامات.

* * *

اخرجت إميلي كورنيل صينية الطعام من الميكروويف، وزمت أنفها لأن الرائحة لم تعجبها. كانت إميلي تتوق لطبخ طعام حقيقي تحضره بنفسها وليس من الثلاجة جاهزا للأكل ولا يحتاج إلا الى تسخين. تمنت لو كان لديها الوقت لتفعل ذلك، وتقرأ لميشال وسارة بدل ان يسليا نفسيهما بمشاهدة التلفاز. كم اشتاقت لتقضي بعض الوقت مع الاولاد بعد الظهر، بينما تخيط لهما أثوابا، او ستائر للمطبخ، او حتى تصفح بعد الكتب.

هذه اللحظات كانت قليلة، وتعتبر ترفاً في غير محله. اضطرت إميلي للعمل مبكرا لتعيل نفسها وولديها، بعدما وضعتهما في دار حضانة للعناية بهما اثناء غيابها. وضعت كعكة الشوكولاتة على الطاولة لتبرد، وملأت آلة جلي الصحون لتقوم بتنظيفها وجليها.

بدا غريبا لإميلي ان الكثيرات يرغبن بالحصول على ما لديها رغم كرهها له. منزل، عمل، ولدان،

وكأن كل ما تريده هو البقاء في المنزل، لتكون أما طوال الوقت. أكان ذلك كثيرا ان تسأل عنه؟

رفعت شعرها البني عن وجهها، ونظرت من النافذة وتنهدت. مرة اخرى لم يتواجد الولدان في المنزل، مع ان سارة وميشال وعداها بالبقاء فيه. نزعت مئزر المطبخ، وتوجهت نحو الباب الخارجي. كانت تعرف اين تجدهما، على بعد خمسة ابواب من منزلها يلهوان على دراجتيهما، ينتظران عودة الطبيب ماينغ الى منزله. كانا يتسللان لفنائه الخلفي، ويتحدثان من خلال السياج مع الكلب الذي يملكه الطبيب.

كانت تعلم انه سيفاتحها بأمر ما. قد تكون أمًا عاملة، لكنها أم لطفلين، ولا يمكن لغريب ان يعطي ولديها نقود. لم يكن الأمر صوابا. وهذا ما سوف تخبره به.

توقفت للحظات لتتأكد من مظهرها في المرآة، مع علمها انها لن تسر بما تراه. كان شعرها مشعث، وهناك سواد اسفل جفنيها، مظهرها العام يدل على التعب والإرهاق. اقتربت اكثر لتتأمل ملامحها وتجهم

وجهها. كان بإمكانها الاستعانة بمستحضرات ووصفات الجمال التي تملأ صفحات المجلات، لكن من أين لها الوقت لتفعل ذلك. بالكاد كانت تستطيع تغيير ملابسها لترتدي ثياب المنزل، ولتغسل وجهها ويديها. فكيف العناية بمظهرها الذي يتطلب وقتا وجهدا وراحة. تذكرت نصيحة قرأتها في إحدى المجلات حول ضرورة اخذ حمام والاسترخاء بعد يوم عمل شاق. لم يكن لديها وقت لأكثر من أخذ حمام سريع في الصباح قبل ان تغادر الى مركز عملها منذ وفاة مارك. ربما عليها التوقف عن قراءة تلك المجلات. لكن ماذا ستفعل في ليالي السبت الطويلة.

يكفي شعورا بالشفقة على الذات، لن يوصلها هذا لأي مكان.

تقدمت وأدارت مقبض الباب وتهيأت لمواجهة مع الطبيب الذي كانت يبدي كرما لافتا مع ولديها وفي غير محله. لكن الجرس قرع قبل ان تفتح وتخرج.

تلفتت حواليها وخلفها، كان كل شيء ملقى بإهمال إذ لم يتح لها الوقت لترتيب المنزل بعد. قرع جرس الباب للمرة الثانية وأعادها الى

الواقع. ان الطارق يقف في الخارج، بصرف النظر عن ضرورة ترتيب المنزل وقد فات أوانه.
فتحت الباب.
بادرها الطبيب مانينغ:«مرحباً سيدة كورنيل، انا الطبيب لوك مانينغ. وأقطن قريبا منكم.»
جاهدت إميلي كي لا تلمس وجنتيها لتخفي آثار الإرهاق. رأت الطبيب مانينغ عدة مرات من قبل لكن عن بعد. لم تر ابتسامته عن قرب هكذا من قبل، او عينيه السوداوين المتوهجتين، او شعره الاسود الطويل.
كان طويل القامة، اطول من مارك، بدا لطيفاً ومهذبا، يسهل الوثوق به، قوي الشخصية. رجل يمكن للمرأة ان تعتمد عليه.
قال:«سيدة كورنيل.»
قالت:«أسفة.» ولاحظت انها كانت تحدق فيه، ثم استعادت رباطة جأشها وقالت:«دكتور مانينغ سامحني، لقد اخرجت بعض الكعك من الفرن وقد...»
ابتسم لها مما خطف منها القدرة على الكلام وقال:«إذا كانت هذه دعوة فقد قبلتها. استطيع ان أشم رائحتها. لم اتذوق هذا الكعك منذ سنوات.»

استعادت رباطة جأشها مجدداً وقالت:«جيد، إذا لن تلاحظ كيف تبدو.» وأفسحت له المجال للدخول وأضافت:«إذا رافقني الى المطبخ من هذه الناحية.»
سار خلفها وقال:«كل بيوتنا متشابهة ولها نفس التصميم. بالمناسبة لقد طلب مني ميشال وسارة ان اخبرك انهما ذهبا الى السيدة مادج ليشاهدا برامج على التلفاز.»
اومأت إميلي برأسها موافقة وقالت:«هذه مادج سنكلير، جارتي التي تعتني بهما في غيابي. ميشال في الصف الابتدائي الأول، لذا فهي تعتني بسارة معظم الوقت. وهذا افضل من دار الحضانة التي كانا فيها سابقا. اتحب بعض القهوة الفورية مع الكعك؟» وأخذت تعمل بطريقة آلية. قدمت الكعك، والقهوة ووضعتها على الطاولة أمامه، ودعته لتناولها.
سألها:«ألديك بعض الحليب، لم اتناول هذا الكعك منذ ان توفيت والدتي، فلقد كانت تحضر لنا اشهى الحلويات.» وابتسم لها.
احضرت اميلي كوبا من الحليب، وتهالكت على الكرسي المقابل.
قال:«من فضلك يا سيدة كورنيل نادني لوك.

فساعات العمل في المكتب قد انتهت، ونحن جيران.»

اومأت برأسها موافقة. وبدا أنه يستمتع بالكعك. تخيلت ما ستكون رد فعله لو تذوق الكعكة التي تحضرها بنفسها. قالت:«لوك، طبعاً، وانت يمكنك ان تنادني إميلي على ما اعتقد.» ونهضت لتقطع له قطعة ثانية وقدمتها له.

قال:«انت طاهية ماهرة يا اميلي.»

قالت:«سخن وتناول ليست فكرتي، ولا طريقتي في الطهي، يا لوك. لكن يبدو أنك لم تتذوق هذا النوع من الكعك منذ مدة طويلة.»

قال:«انت على حق، فإنا اتناول الطعام الجاهز في المستشفى. يوما ما قد نبحث في فضائل هذا النوع من الطعام. لكن هذا يجب ان ينتظر. يجب ان نبحث في أمر الابتزاز الذي اقحمته في عقل الولدين.»

احمر وجهها للإشارة، لماذا يتفوه ميشال بالكلمات التي تقولها لهما

قالت:«ربما الابتزاز ليس الكلمة المناسبة، لكن يا لوك حتى لو بدت الكلمة قاسية، هما يلعبان مع كلبك وأنت تعطيهما النقود يومياً، وهذا يتضمن انهما سيفعلان شيئا للكلب إذا لم

يحصلا على النقود. صحيح ان ميشال وسارة يحبان الكلب ولكن لا اريد لهما ان يتقبلا هدايا من الغرباء.»

قال لوك:«تماماً.» حمل الصحن والكوب وغسلهما في المغسلة بدت اصابعه الطويلة الماهرة. ثم تابع:«وصلت لنفس النتيجة بنفسي، عندما فكرت في مضمون ما افعل وجدت انه خاطئ. اعتقدت اني لست غريبا. فميشال وسارة هي الوجوه التي أراها كل صباح، منذ ان انتقلت الى هنا. وهما ولدان ظريفان يا اميلي، فهما يطرحان علي تحية الصباح ويمدان أيديهما لمصافحتي.»

نهضت وقالت:«هما يأخذان منك نقوداً منذ ان انتقلنا الى هنا، لا اصدق ذلك. لقد امضيت الليلة الماضية واليوم أحاول ان ارتب ما سأقوله لك، كي لا تزرع في أذهان الولدين أنه يمكنك شراء صداقتهما بالمال. يا للولدين الشقيين التعيسيين. الاسبوع القادم، سيبدآن بقرع الأبواب، وأبواب المتاجر.» وصفعت جبينها مستنكرة الأمر.

قال مبتسما:«هونّي الأمر عليك يا إميلي، لم اكن اعطيهما النقود دائما، بل فقط عدة مرات.

ولم يسألا زيادة إلاّ الاسبوع الفائت. لكن ماذا ستفعلين يا اميلي؟»

رمته بنظرة نارية وقالت:«سوف اعاقبهما. هذا ما سأفعله، اتريد ان تشاهد ذلك؟»

الفصل الثاني

خرج الطبيب لوك من المصعد، وابتسم عندما رأى ميشال وسارة ذاك الصباح، فقد كانت ايديهما موضوعة خلف ظهريهما، وقد بديا نظيفين اكثر من المعتاد، وملابسهما مرتبة، وشعرهما مسرح بعناية خصوصا سارة التي بدت شديدة الشبة بوالدتها. لا شك ستكبر وتصبح امرأة جميلة. قالا بصوت واحد غير مبتهج:«صباح الخير يا دكتور مانينغ.»

فرد لوك:«صباح الخير يا ميشال وسارة. كيف جرت الأمور اليوم؟»

نظر الولدان الى بعضهما البعض، اجاب ميشال:«قالت والدتي انه يجب ان نعتذر منك لما فعلناه، وأننا يجب ان نعيد المال كله إليك.»

سحب يده من خلف ظهره، ومدّها للطبيب مانينغ وقدم له ورقة نقدية من فئة العشرة دولارات. لقد صرفنا المبلغ كله على الحلوى، لكن الوالدة قالت انها ستقرضنا إياها على ان نقوم بالمقابل بأعمال في المنزل لنسددها. سيستغرق الامر الى الابد.»

قال الطبيب:«اعتقد انه سيستغرق كل هذا الوقت.» وحاول جهده ألا ينفجر بالضحك ويبقى على اساريره وجهه الجامدة.

انحنى وأخذ المال، علم ان اميلي لن تقبل بغير ذلك. انها والدة ذكية ورائعة.

«لكن أتعلمان يمكنكما القيام ببعض الاعمال لي ايضا.»

لمعت عينا سارة وقالت:«يمكننا فتح صنبور الماء ليشرب فريد، ويمكننا الركض قرب السياج، بحيث ينبح ويمرن قوائمه بمطاردتنا.» وبدأت تقفز، وجديلة شعرها تقفز خلف رأسها وظهرها.

شارك ميشال اخته في حماسها وقال:«ايمكننا البدء منذ اليوم، يا دكتور مانينغ؟ هل نستطيع؟ هل نستطيع.»

قال:«سأكلم والدتكما الليلة عندما اعود، فإن وافقت، لا مانع عندي.»

قال ميشال:«فكرة جيدة يا دكتور مانينغ. من الآن فصاعداً سنسأل والدتي عن كل شيء قبل ان نقوم به. أليس كذلك يا سارة؟»

لمس رأس ميشال برقة وقال:«تفكير صائب ايها النمر الصغير.» ثم ودعهما وغادر الى المستشفى.

تذكر خيبة أمل الاولاد، وتذكر الأم، ليلة أمس عندما امسكت بولديها امام المنزل. انها تحبهما كثيراً، لكنها تعتقد انهما ارتكبا شيئاً سيئاً. لم يدر من كان التعيس الأم أم الاولاد. يبدو كأنها تحملت عبء ما ارتكباه على نفسها. ولام نفسه، فهو ايضا يتحمل جزءاً من اللوم. كان صعبا عليها كأم وحيدة من دون زوج، فهي الأم وهي الأب، وهي تعمل وعليها مسؤولية غير البيت والأولاد، من دون ان يضاف لها المزيد من المشاكل. لو أمكن فقط ان يساعدها كان يتوق لأن يراها مجددا، وينتظر المساء ليقابلها ويحاول مساعدتها.

سمع بن يقول:«مرحباً يا لوك. تبدو هادئاً اكثر من اللزوم هذا الصباح.»

استدار ليجد بن يرتدي بذلة غامقة، وقميصاً ابيض، وربطة عنق صفراء. فقال:«وأنت تبدو وكأن لديك اجتماع مهم. هل نسيت شيئاً؟ هل هناك اجتماع موظفين هذا الصباح ونسيت أمره؟»

اومأ بن برأسه نافياً وقال:«كلا، الاجتماع سيكون الاسبوع القادم. وأنا لن اعمل اليوم، وسيأخذ جيري مكاني، لقد جئت لأتفقد احدى

مرضاي. سأغادر انا وماري الى نيويورك خلال دقائق. لقد اشترت تذكرتين لحضور مسرحية في برودواي. كان من المفروض ان تذهب مع إحدى صديقاتها، لكن تلك الصديقة غيرت خططها في آخر لحظة، ثم تم اختياري لمرافقتها. هل ستحضر العشاء الراقص هذه السنة، أم انك تدبرت أمرا طارئا لعدم الحضور؟ ام انك لم تجد رفيقة لك؟»

لمع في ذهنه صورة إميلي كونيل المتعبة المشعثة الشعر. وشعر بنوع من الالتزام الادبي نحوها. ربما لم تخرج للرقص منذ وفاة زوجها. ان دعوتها واجبا، قد تجده امرا مذهلا ورائعا.

اجاب لوك:«رفيقة! بلى يوجد رفيقة بالطبع.» كل ما عليه هو ان يسألها.

في المساء، كان الولدان قد ملاَ الانتظار، حين طرق لوك على الباب حتى هي لم تتوقع ان يطرق الباب في مثل هذه السِاعة. مضى وقت طويل عليها لم تستقبل رجالا في منزلها، او خدمت رجلاً في منزلها.

بدا سعيدا الليلة الماضية وهو يلتهم كعكة الشوكولا التي حضرتها على عجل. نسيت هي كم كانت تستمتع برؤية رجل يأكل.

سألها فجأة:«هل تستطيعي الذهاب معي الى عشاء راقص؟»

«عشاء راقص؟ تريد ان تأخذني معك الى عشاء راقص؟ لماذا؟»

اجابها:«لما لا؟»

ايعقل؟ لقد قابلته فقط في الأمس، وهو يسألها لترافقه في حفلة راقصة، تبدو مهمة جدا. لكن وسامته ونظراته، اشعرتها انها سندريلا والأمير يطلبها للرقص. كل ما كان ينقصها زوجة أب ظالمة تحرمها من ارتداء فستان سهرة لائق، كما حصل مع سندريلا، او مصفف شعر يرتب شعرها المشعث.

قالت:«لا أدري ان كنت سأجد جليساً لهما اثناء غيابي.» وكانت تعلم ان مادج ستكون في غاية السعادة إذا اعتنت بولديها اثناء غيابها.

اضافت:«ليس لدي ملابس لائقة لأرتديها للحفلة.»

جلس صامتا يحدق فيها ويبتسم بخبث. لقد رأت ثوبا الاسبوع الماضي، أعجبها لكنها لم تجد أي سبب او مناسبة تشتريه، لكن بحسم عشرين بالمئة من ثمنه كعاملة في نفس المتجر، وإلغاء بضع وجبات غداء قد تتمكن من...

قال:«اسمعي يا إميلي. لا اريدك ان تفهمي

مقصدي خطأ. العشاء ليس شيئاً أريده، بل واجب فرض عليّ ان اؤديه. وقد خطر لي هذا الصباح انك ربما تودين الرقص، والخروج من المنزل ولو لمساء واحد، بعيدا عن الاطفال، ليس لأنهما غير رائعين. الدعوة هي نوع من الاعتذار لما سببته لك من إزعاج.»

قالت:«فهمت. تضرب عصفورين بحجر واحد. ستجد شريكة للعشاء، وتريح ضميرك مما دار بينك وبين الأولاد. شيء رائع.» تجهمت قليلا ثم قالت:«مهلا. لا أدري. ربما كنت تريح ضميرك، بإرسال الزهور، لماذا عناء الدعوة إذن؟»

اخذت توضب الغسيل بعناية.

فوقف وراءها. بدت الغرفة صغيرة جداً لا تتسع لهما الاثنين. بل المنزل كله بدا صغيراً. لم تشعر بوجود رجل هكذا في حياتها. قال:«لديّ سبب يا إميلي، رغم أنه قد يبدو محرجا. لم أواعد امرأة منذ أكثر من سنتين، منذ فسخت خطوبتي.»

قالت بشيء من الدهشة:«كنت خاطبا؟ ماذا حدث؟ أوه! آسفة. ما كان يجب ان اسأل سؤالا شخصيا هكذا.»

قال وهو يبتسم:«لا بأس، لا أمانع بالإجابة. فسخت الخطوبة، لأن زوج خطيبتي قد عاد.»

احست بقلبها يذوب. لماذا الرجال الوسيمون يبدون سريعي العطب؟ بدا كابنها ميشال عندما يستفيق من كابوس مزعج، فتحضنه وتعطيه دفعة حنان وحب قوية ليشعر بالأمان. اشاحت بوجهها وعينيها، وتساءلت ما إذا كان لوك بحاجة لمثل ذلك العناق العاطفي.

قالت بمعرض التهكم والسخرية:«خسارة، أليس كذلك، يبدو انك كنت تحبها كثيرا.»

قال:«نعم. لكن توقيتي كان سيئا. كنا مخطوبين لمدة اسبوعين، عندما ظهر زوجها السابق. لكن لم يكن زوجها السابق، بل زوجها الفعلي. يبدو ان الطلاق لم يتم حسب الأصول. وسرعان ما اكتشفا أنه لم يكن عليهما الإفتراق اصلا. أعادت جوليا الخاتم لي بلباقة، ولازلنا نتبادل بطاقات المعايدة في الاعياد.»

همست اميلي:«يا للطف المتناهي.» وتمنّت لو تتعرف على جوليا هذه لتسمعها بعض الكلام القاسي والجارح.

«لم ارد التعرف على النساء بعدها، يا إميلي. كان بإمكاني ان اسأل أي ممرضة لترافقني. لكن لا أريد التورط. لست مستعدا، والحقيقة لا أدري ان كنت سأكون مستعدا بعد تلك التجربة.»

سمعت إميلي ما قاله واختزنته في عقلها وقلبها. أضاف:«على أي حال، قابلتك نهار أمس، فقط ، واعتقد انه بامكاننا ان نكون اصدقاء. لدينا ميشال وسارة مشتركان بيننا. وهذا الصباح فكرت لمَ لا ادعوك لمرافقتي بدل ان تضيع الدعوة هباء، بإمكاننا ان نستمتع بالأمسية معاً. لقد سمعت انّ الفرقة الموسيقية التي ستحي الحفلة جيدة، فما رأيك؟ اتودين الذهاب؟»

تباطأت في الإجابة ثم قالت:«أصدقاء.»

اجاب:«نعم أصدقاء، من دون ارتباطات ولا التزامات من قبلي او قبلك.»

اومأت برأسها موافقة، وقالت:«حسناً يا لوك، لكن لو فكرت أني سأعطيك بنساً واحداً لاصطحابي للعشاء يجب تعيد التفكير.» ارتاحت لأنه بدا يشعر بارتياح اكثر بوجودها ويتصرف على طبيعته. قالت:«أتحب بعض الشاي المثلج، او أي شيء آخر؟» ونهضت الى المطبخ.

لحق بها ونظر حوله.لاحظت ما يريده. قال:«لقد التهم الأولاد كل كعك الشوكولا .إذا لم اكن مخطئاً؟»

قالت:«اصبت.» لقد التهمت هي آخر قطعة بقيت، لكنها رفضت ان تعترف بذلك. لم تكن

الكعكة بنفس الجودة التي تصنعها، لكنها كانت طيبة المذاق . لم ترد ان تخيب ظنه، فأخرجت صندوق من خلطة الكعك الجاهزة وأضافت اليه بعض الحليب ووضعته في الخلاط. قالت:«ها قد جهز الكعك. ما عليك إلا الانتظار لبضع دقائق وتأكل.»

قال:«لا بأس في ا لانتظار، انا جراح يا إميلي. ولست طبيب أمراض داخلية، ونحب ان نعيش في دائرة الخطر.»

قالت:«تتعامل بالمشرط؟»

ضحكت على نكتتها، وأردفت:«انت جراح، لكني لا اعرف اختصاصك هل تجبر العظام؟»

اومأ برأسه نافيا وقال:«انا جراح باطني. اتخصص بجراحة الاطفال ممن هم في عمر سنة ونصف السنة ودون. وهذا يبقيني مشغولا على الدوام. وهذا ذكرني بشيء يا أميلي. لم يكن ميشال ولا سارة يرتديان خوذات السلامة عندما كانا يركبان دراجتيهما نهار أمس. لديك خوذات لهما أليس كذلك؟»

تنهدت اميلي، وسكبت خليط الكعك في القالب المخصص له، ووضعته في الفرن. قالت:«لديهما خوذات، المشكلة هي في إقناعهما ليرتدياها.»

نظر إليها لوك ملياً، محاولاً سبر غور قدرتها على جعل اولادها يحسنون التصرف، ثم قال:«من المهم ان يرتديا الخوذات. فقد مرّ عليّ حالات مريعة، لم يكن فيها الاولاد يرتدون الخوذات الواقية. قد أحاول إقناع الاولاد إذا احببت؟» وحاول جهده ان يلطف من عرضه بحيث لا تفسره بشكل خاطىء مثل التدخل في امورها، وهي التي تحملت مسؤولية الاولاد منذ ولادتهم. اجابت:«لا شك انك صادفت حالات كثيرة خلال عملك، وأنا لا اتحمل إن ارى طفلاً يتألم.»

قال:«الأمر ليس سهلا، لكن الاوقات الجيدة تفوق السيئة، ورأيت كثيرا من الاطفال السعداء، صدقيني يا إميلي، تستحق ابتسامة من طفل ان نبذل كل جهد ممكن.»

نظرت إليه، وبوجهه الوسيم، إنه وسيم، وطيب، ويختص بمساعدة الاطفال، وينشد صداقتهما، وهو رجل لطيف. علمت انها تستطيع ان تتعايش مع ذلك. قالت:«ما رأيك بكوب حليب كبير وبارد، مع قطعة حلوى ضخمة؟»

الفصل الثالث

رفع لوك بصره عن طاولة العمليات، بعدما اعلنت الممرضة المساعدة انتهاء العملية. خمس ساعات، شعر بعدها بالخدر في ساقيه. لكن المريض جيمي البالغ من العمر سنتان كان شجاعا للغاية خلال العملية كلها. وتوقعات الشفاء كانت جيدة جدا. وكل ما كان عليه ان يفعله الآن، هو كتابة تقريره، والادوية التي يجب ان تعطى له، والتحدث مع الأهل الذين ينتظرن خارج قاعة العمليات، وزيارة باقي مرضاه في الجناح، ثم مقابلة مريضين جديدين في عيادته، وإجراء الفحوص اللازمة لهما. وبعدها يمكنه الإسراع في العودة الى المنزل، ويأخذ حماما سريعا، ثم يرتدي بذلة المناسبات ليصطحب إميلي الى عشاء الاطباء الراقص في السادسة والنصف. وإذا توفر له المزيد من الوقت، يحل مسألة الجوع المزمن الذي يشعر به.

اعطى تعليماته للممرضة، وقابل أهل جيمي، وقام بزيارات خاطفة لباقي مرضاه، قبل ان يعود الى

القاعة الملحقة بغرفة العمليات ليلتقط انفاسه.
كان مرهقا. هل يقوى على فحص المريضين ليعود الى المنزل، ويتناول عشاءً سريعا؟ ويقرأ بعض المجلات الطبية التي يفترض به ان يقرأها؟ لا مجال لذلك.
يجب ان يذهب الى الحفل هذا المساء. كيف يفعل بنفسه هذا؟ كان بإمكانه التخلص من العشاء هذه السنة ايضا كما فعل السنة الماضية. وماذا يكون رد فعل نقابة الاطباء لو لم يحضر؟ معاقبته؟ لا يمكن. لو لم يتدخل بن ايسترلي في الموضوع، وينتقده، أنه غير قادر على مواعدة النساء، لمرّ الأمر من دون ضجة.
لكنه أراد إثبات أنه قادر على المواعدة لهذا الزميل الحشري الذي يكثر من رمي الإنتقادات بحسن نية او بسوء نية. كان بإمكانه الإتصال ببعض وكالات المواعدة لينتقي له رفيقة، هذا إذا كانت لازالت تلك الوكالات تعمل. لكن لا، تذكر الارملة الحسناء إميلي، وعينيها البنيتين الحزينين، والمشكلة التي تسبب بها لولديها بإعطائهما النقود.
كان قد قرر ان يعتذر لها بدعوتها الى العشاء الراقص، فليمضي فيه إذن. لكن هل كانت

دعوتها خطوة غبية من جانبه؟ لماذا لم يشتري لها زهورا وينتهي الأمر عند هذا الحد بدل ان يدعوها للحفلة الراقصة؟ هو نفسه لم يمارس الرقص منذ آخر حفلة راقصة حضرها منذ عامين، عندما كان هو وجوليا يتواعدان.
نهض وتوجه نحو آلة القهوة وألقى نظرة على شكله في المرآة الصغيرة، المعلقة فوق الطاولة. ثم قطب أساريره. ما العيب في شكله؟ حرك رأسه وهو يتأمل نفسه. العيب انه كان لوحده في المرآة. احيانا كان يراوده شعور ان العالم كله متزوج باستثنائه. هو وحيد. العالم كله لديه اولاد إلا هو. العالم كله سعيد إلا هو. كان يحب الأولاد ولطالما احبهم. ولا بد لرجل طبيب اطفال ان يحب الأولاد . ويحب مؤسسة الزواج.
لقد عاش والداه اربعين سنة مليئة بالسعادة والحب، قبل ان يموتا في حادث سيارة منذ ثلاث سنوات. وعندما مرّت فاجعة خسارتهما، اكتشف انهما لم يفارقا بعضهما إطلاقا.
هكذا كان زواجهما. حب وانسجام وتفاهم، وتفان. هكذا زرعا فيه هذه القيم. وهكذا فهم الزواج ومؤسسة الزواج.
عندما تقدم من جوليا، ليس فقط الزواج لمجرد

الزواج وتبادل الخواتم، والمشاركة في العيش في منزل واحد، بل التزام يدوم مدى الحياة بصرف النظر عن باقي الأمور. رحلت جوليا في حال سبيلها وتبخر الحلم. كل ما بقي الحب والحلم، لكن من دون رفيق يشاطره إياه.

«مساء الخير دكتور مانينغ.» كانت التحية صادرة من الطفلين، سارة وميشال، عندما ترجل من سيارته.

ابتسم لهما قائلاً:«مساء الخير يا أولاد. هل والدتكما جاهزة؟» ولاحظ انهما قد استحما للتو، وبديا نظيفين وقد ارتديا ثياب النوم. كانت رائحة الصابون لا تزال تصدر منهما. بديا رائعين.

قالت سارة:«هل ستكون والدي الجديد دكتور مانينغ؟» وقد امسكت برجل سرواله، بينما كان يحاول دخول المنزل.

ابتسم لها وتمتم بكلمات غير مفهومة.

قال ميشال:«العمة مادج تقول انك -لقطة -. ماذا تعني كلمة لقطة؟»

اخذ نفساً عميقاً، كان لا بد أن يجيب، فعدم الإجابة تعني ان الطفل سيعاود السؤال. الاطفال هكذا.

قال لوك مجيباً:«إنه تعبير تستعمله النساء عادة، عندما يعتقدون ان رجلا يتمتع بالوسامة واللطف.» ورمى نفسه على المقعد، ينتظر إميلي.

جلست سارة قربه، وأسندت رأسها الصغير على كتفه.

جعد ميشال أنفه دليل خيبة الأمل وقال:«انا الرجل في هذه العائلة يا دكتور مانينغ، ولقد قالت لي أمي نفس العبارة، هل هذا يعني انني وسيم كذلك؟ انا اكره الفتيات باستثناء سارة. لا أريد إن اكون وسيما. الفتيات مزعجات، خصوصا عندما يحاولن تقبيلك.»

ضحك لوك مع محاولته البقاء على جديته، بينما كان يحاول تبادل الحديث مع رجل عائلة كورنيل.

قال لوك:«هذه مصيدة يجب ان نتحملها نحن الرجال الوسيمون ونتعايش معها. لكن لو كنت مكانك لما قلقت كثيرا للأمر. يوما ما ستكبر وستتقبل الأمر.»

حرك ميشال رأسه نافياً وقال:«عندما أكبر سأكون إطفائيا كوالدي. ولن اتزوج مطلقا. فإن مت تحت انقاض مبنى ينهار، لن يبكي احد عليّ عندما لا إعود للمنزل ثانية.»

مع انه كان معتادا على كلام الاطفال وطريقة

كلامهم عن الموت، إلاّ انّ كلام ميشال هزّه بعنف.

تمسكت سارة بعنقه اكثر وقالت:«والدتي لازالت تبكي احيانا ليلا. اسمعها. لقد بكت كثيرا عندما تركنا منزلنا في الريف وجئنا الى هنا. لكنها قالت إنه لم يعد بإمكاننا الاستمرار بالإقامة فيه.

ان مرّت خمس دقائق اخرى، سيعلم لوك تاريخ عائلة كورنيل بالكامل من الطفلين. ولم يكن يريد ان يعلم اكثر مما علم، ولا ان يتدخل اكثر مما فعل. ولا يريد ان يتخيل إميلي كورنيل باكية او حزينة او متألمة.

نظر حوله ليلهو بشيء ينقذه من أفكاره التي ذهبت للبعيد. قال محاولا تغيير الموضوع:« أليست العمة مادج هنا؟ أم انكما ستذهبان إليها، في منزلها؟»

قفز ميشال الى حضن لوك وقال:«سننام عندها في منزلها الليلة. هذه فكرة العمة مادج التي قالت ان الحظ يطرق الباب مرة واحدة، او شيء من هذا القبيل.»

أحس لوك وكأن شيئاً ما يمسك بأنفاسه، لم يكن بسبب ان سارة تمسك بعنقه، او

لأن ربطة عنقه تضغط على مجرى الهواء.

ظهرت إميلي عند اسفل الدرج. وقفز الولدان و تحرر لوك من قبضتهما، وهرعا نحو والدتهما.

قال ميشال:«انظر دكتور مانينغ. جاءت والدتي. أليست جميلة؟»

نهض لوك لتحية إميلي. تقدم خطوتين، ورأى إميلي وهي تمسك بحاجز الدرج المعدني بإحدى يديها.

لقد رفعت جانباً من شعرها الى ما وراء إذنها، وأسدلته من الجهة الأخرى. كانت تضع قرطين من الذهب وبدت عيناها اكثر تألقا ونعومة.

وجد نفسه يحدق بشفتيها وكأنهما مغنطيس يجذبه إليهما. لكن ما لفته أكثر ثوبها الحريري الذي يصل لركبتيها، ويظهر جمال كتفيها، ويصدر صوت حفيف مع كل خطوة تخطوها. كان الثوب يظهر مفاتنها ويخفيها في آن. ويبرز انوثة إميلي.

احب لوك رؤيتها. ومن خلال مواعدته لجوليا التي كانت مصممة ازياء، علم الكثير عن عالم الموضة وتصميم الازياء.

لكن ثوب إميلي لم يكن من تصميمها، وإن

كان من المادة المفضلة لديها وهو الحرير.كانت إميلي امرأة ناضجة وبدت جميلة وجذابة وناعمة ورقيقة في هذا الثوب. مدّ يده ليساعدها على النزول وقال:«تبدين رائعة.»

بينما كانت هي تستدير لتسمع شيئاً قالته سارة، قالت:«نعم يا سارة يمكنك ذلك.»

كانت سارة تمد يدها لتلمس الثوب الحريري. وقالت تسأل سارة:«إنه ناعم أليس كذلك؟ مثل حواف غطائك.»

قال ميشال:«اين كنزتك يا والدتي... ستصابين بالبرد هكذا، إذا لم ترتدي شيئا.»

نظر لوك إليها، وقد علت وجهها حمرة خجل خفيفة، ابتسمت بما يشبه الإعتذار وقالت:«لم يعتادوا عليّ ارتدي ملابس كهذه. آخر مرة كانت في العيد.»

قال ميشال:«ارتدت يومها ثياباً جميلة. لو رأيتها لأحببتها.»

قال لوك معقباً:«بالتأكيد كنت سأفعل ذلك يا ميشال.»

قرع جرس الباب، وبدأت سارة تبكي وهي تقول:«لا اريدك ان تذهبي يا والدتي. كنت غائبة طوال النهار.»

تنهدت إميلي ولاحظ لوك لمحة حزن تلفها، فجأة قالت:«سارة يا عزيزتي. انها ليلة واحدة فقط. ثم ان العمة مادج عند الباب، وهي لا تستطيع الإنتظار طويلا.» انحنت وقبلت الطفلة وأخذت تواسيها.

قال ميشال:«هل ستصنع العمة مادج لنا الفشار لنتناوله اثناء مشاهدة التلفاز؟»

نهضت إميلي على الفور، واعتذرت من لوك، وغابت في المطبخ. احضرت لهم علب الفشار وقالت:«سأضع هذه العلب في فرن المايكروويف الآن لتحضير الفشار للطفلين قبل الذهاب الى حفلة الاطباء الراقصة.»

في هذه الاثناء دخلت العمة مادج وقالت:«مرحباً دكتور مانينغ. تسعدني رؤيتك ثانية.»

استدار ليجد مادج سنكلير تقف على بعد خطوات منه وابتسامتها الخبيثة، تضج بألف سؤال وسؤال.

أجاب:«مرحبا سيدة سنكلير. أود ان اشكرك لموافقتك على رعاية الطفلين اثناء غياب إميلي.»

قالت:«هذا أقل ما يمكنني تقديمه. مسكينة إميلي تعمل طوال النهار في محل الألبسة،

www.liilas.com

وتعود لتعتني بطفليها. صراحة لا اعرف كيف تفعل ذلك لكنها تقوم به بطريقة رائعة. انها تقوم بدور الأم والأب في نفس الوقت. هذا ما قلته لجيم زوجي. قلت له عندما رأيتك ترتدي بذلتك الأنيقة، ان إميلي كنز ثمين. يوما ما ستجعل من إنسان محظوظا جدا وسعيدا جدا. هذا ما قلته له يا دكتور مانينغ.»

قال:«انا متاكد انك فعلت ذلك، يا سيدة سنكلير.» وكان هذا افضل ما خرج به، ومادج تعاينه كما لو كان غرضا معروضا للبيع.

قال ميشال:«عمة مادج، لقد حضرت أمي لنا العشاء، وهي تريدنا ان ننظف اسناننا قبل النوم.»

تأملته مادج لبضع لحظات ثم وجهت كلامها للوك وقالت:«إنه ولد جيد، لكن ما يحتاجه هو رجل يقف الى جانبه، أليس كذلك يا دكتور مانينغ. هذا ما قلته لزوجي جيم. اتدري ما قاله جيم؟» ولم تنتظر الإجابة بل اجابت على تساؤلاتها بالقول:«قال إنه من الصعب ان يتربى ولد من دون أب، كأن يحصر اهتمامه بتنظيف اسنانه بدل ان يصبح رياضيا مثلا. هذا ما قاله زوجي جيم.» وعقدت يديها على

صدرها كنوع من التحدي، لأن يرفض او يعارض ما قاله زوجها. ولم يكن لوك بحاجة لقول أي شيء. فقد ظهرت إميلي مجددا في الغرفة، وأردفت مادج ما كانت بدأته:«يا لصغر سنها، تبدو كعروس ليلة زفافها.»

قالت اميلي:«انا جاهزة، مادج ستصعد مع الطفلين لإحضار الوسائد لهما، بإمكاننا ان نغادر الآن.» قبلت الولدين وطلبت منهما ان يبقيا هادئين، وتوجها للخارج، حيث ركن سيارته. وعندما فتح لها الباب لتدخل لم تبدو جميلة فقط، بل كانت رائحتها عطرة ايضا. لقد اختلطت رائحة صابون الحمّام الذي استحمت به، بالعطر الذي وضعته، مما ألهب خياله، ودفعه لتصور المروج الخضراء والطبيعة الغنّاء والعصافير المغردة. واختلطت عاطفته تجاه الولدين، بما شعر به تجاهها. كانت مادج محقة، كم بدت صغيرة وفاتنة.

أثناء الطريق الى النادي تحدثا عن الطقس والطريق، وفضائل المايكروويف وماذا بعد؟ بالتاكيد لم تكن تريد التحدث بالسياسة او بالدين.

اثناء وقوفها الى جانب لوك اخذت ترشف

العصير من الكوب الذي قدّم لها وهي تجول بنظرها على الحاضرين المتشوقين للجلوس الى الموائد وتناول العشاء. وربما جلسا قرب ازواج لديهم اولاد، عندها يمكن التحدث عن الاولاد مع الزوجة. وكطبيب لا يريد ان يسمع ما تقوله عن إصابة ميشال بجدري الماء وكيف ان خريطة ايطاليا مع جزيرة صقلية قد رسمت على ذراعه. فربما كان يسمع هذه القصة يوميا من أمهات الاولاد المرضى الذين يعالجهم.

نظرت إليه بطرف عينها، عندما تقدم منه طبيب متقدم بالسن وراح يحدثه عن العلاج بالليزر، ولوك يبتسم ويهز رأسه موافقا، حول مستودع الجناح الجديد في المستشفى لهذا النوع من العلاج، والنفقات والتكلفة المتوقعة له. وبالطبع كان الموضوع طبيا صرفا خرج عن نطاق استيعابها.

بدا لوك مثلها وقد أصابه الملل، بينما الرجل يستمر في حديثه من جانب واحد. ونقلت كوب العصير لليد الأخرى وتمنت لو كان معها فوطة ورقية لتمنع تساقط الماء على ثوبها الحريري. كم مضى عليها من الوقت لم ترتدي ثوبا عاري الكتفين كهذا. وشعرت ببعض الخجل.

حاولت ان تعود بالذاكرة لما كانت تتبادل هي ومارك زوجها المتوفي من احاديث عند خروجهما. لقد بدأ يخرجان منذ ان كانت في الرابعة عشرة من عمرها، وكانت حينذاك في الصف التاسع. تحدثا عن المدرسة، وفرص نجاح فريق كرة القدم الذي ينتمي إليه، وعن زواجهما عندما ينهي سنته الثانية في الجامعة، مهما كان رأي والديه بالموضوع. تحدثا عن نفسيهما، حياتهما، خططهما، وعن حبهما. لكنها ولوك لا يجمعهما أي رابط مثل ذلك ليتم الحديث عنه. كانا مجرد شخصين جمعتهما الصداقة، ولمدة ليلة واحدة، حفلة واحدة. اصدقاء.

تراجع لوك قليلا ثم اصطدم بها، وتمتم اعتذاراً، ثم وضع يده حول خصرها، وقربها إليه، قال شيئا حول عدم رغبه في فقدها بين الجموع. حاربت نزعة الرؤيا فيه، لكن الملامسة جعلت مشاعرها تتأجج رغما عنها، ايقظت فيها أحاسيس رغبت في ان تبقى نائمة. كيف سترقص معه؟ لم ترقص مع احد غير مارك، ومع أبيه عند حفلة الزفاف.

هل ستكون قادرة على متابعة خطواته. وتمنت

كي لا تتعثر وتقع على قدميه. اخذت رشفة اخرى من العصير، وتصنعت ابتسامة، اغلقت عقلها عن أي شيء آخر. بعد دقائق تركهما الطبيب وشأنهما. بعد دقائق من الصمت تمنت لو كان هناك ما تتحدث عنه.

قال لوك:«هل تستمتعين بوقتك؟ آسف بالنسبة لباكستر. انه احد اعضاء اللجنة المهمين ويجب ان أعاملة بلطف.»

اومأت برأسها موافقة، سقطت خصلة شعر على جبين لوك، فأمسكت اميلي الكوب بكلتا يديها لتمنع نفسها من إعادتها الى مكانها.

بدا الأمر سخيفا.

قال لوك انهما اصدقاء. وما كان عليها ان تشعر انها معقودة اللسان هكذا. حسنا فلتكن صداقة. فما الذي يتحدث عنه الاصدقاء؟ وتنهدت. لم يكن لديها أي صديق من قبل. فمارك لم يكن ليسمح بهذا.

قالت:«سارة تقول ان فريد كلب رائع.»

ضحك وقال:«بالفعل.»

قالت:«ومن أين جئت له بإسم فريد؟»

امسك بذراعها وقادها نحو طاولات الطعام. وبدأ الاطباء يتخذون مقاعدهم ثم

قال:«كنت اتمنى لو كان لدي قصة لأرويها لك، حول تسمية الكلب. لكن يوم اشتريته، رفعت الشعر عن وجهه بدا كـ فريد.»

قالت:«فلينستون او ميرتز؟»

اجاب:«فريد ميرتز من العرض القديم للرسوم المتحركة انا احب لوسي. تذكرت الآن هل سبق لك واشتريت شيئا من متجر صغير يقع على بولفار سيدر كريست؟»

قالت:«محل الجزار؟»

ارجع الكرسي الذي ستجلس عليه ليفسح لها المجال وقال:«نعم هو نفسه. صاحب المتجر بدا شبيها جدا بفريد، فأطلقت عليه اسم صاحب المحل.» ضحك كلاهما للنكتة، وبدأ يعرفها على الذين يجلسون الى طاولتهم من الاطباء.

اخذت تراقبه وهو يقوم بعملية التعريف. وأدركت ان قلقها لم يكن في محله. فالأمسية جرت بصورة طبيعية امتدت طوال فترة تناول الطعام، الى ان بدأت الموسيقى اولى الالحان الراقصة. فنهض وأمسك بيدها، ودعاها للرقص، سحب الكرسي ليساعدها على النهوض.

احست وكأنها مجرم مدان يقاد لساحة الإعدام. ومع انها كانت ترتدي حذاء بكعب عال، كان

عليها ان ترقص على اصابع رجليها لتصل الى كتف لوك.

اقترب جسداهما مجدداً، وأحست بالحرارة مع ان رأسها كان مائلاً لتراقب باقي الراقصين والراقصات، لكنها كانت على دراية بتقارب جسديهما. احست بأنفاسه على رأسها وشعرها، وشعرت بصدره يتسع ويضيق مع كل نفس. أحست بخدر في جسمها كله، وبشعور غريب، حاولت كبته، ونتيجة ارتباكها داست على قدمه أكثر من مرة. وبدل ان تعتذر هي اعتذر هو منها وقال:«أسف يا اميلي، يبدو أني لم ارقص منذ امد بعيد، فربما قد تجدمته مفاصلي.»

فكرت، انه إذا اراد وضع اللوم على نفسه فليكن. هو من أراد ذلك.

قالت:«لا بأس يا لوك.»

شد على يدها، وقادها مجدداً و لف بها حلبة الرقص، قال:«هل تستمتعين بوقتك؟»

اجابت:«نعم، الأمسية رائعة يا لوك.»لم يكن كلامها مجاملة، بل شعور حقيقي خالص، اضافت:«حقا يا لوك.»

اجاب:«وأنا كذلك يا إميلي.»

ظلا يتمايلان على انغام الموسيقى حتى آخر السهرة، كانا اخر المغادرين عند منتصف الليل.

www.liilas.com

الفصل الرابع

قبل ثلاثة اشهر أراد لوك ان يقوم بزيارة احد أقاربه البعيدين، وأوكل من ينوب عنه اثناء غيابه. وكان سيصحب كلبه فريد معه، في رحلة بالسيارة الى نيو جرسي. وحتى قبل ثلاثة اسابيع من القيام بها، كانت فكرة جيدة. وراح يفكر وهو ممدد على العشب في احدى الحدائق التي تبعد ثمانية كيلومترات عن منزله، وكان كلبه فريد يجري ويقفز، ثم رأى كرة راح يدفعها حتى وضعها امام وجه لوك، وكأنما يدعوه للعب بها.

أما كيف انتهى به الامر هنا، فكان يعود إلى ان سارة وميشال قد دعياه لمرافقتهما في هذه النزهة، ولا يريد ان يخذلهما ، فجاء بهما الى الحديقة مع فريد، وأطلق لهما حرية الجري واللعب مع الكلب.

كذلك لم يرفض دعوة آل كونيل الثلاثة من ان يرافقهم الى متجر بيزا كي لا يخذلهم الذي افتتح حديثاً في كورليه فالي مول، حيث كان يقيم احتفالا للأولاد، عزفت فيه موسيقى صاخبة

جداً. وجد نفسه يدعو إميلي والولدين الى زيارة حديقة دورني بارك المسائية، لمشاهدة بعض الحيوانات المائية وبعدها لتناول الآيس كريم من المتجر المتواجد هناك.

كان يرى إميلي والولدين كثيراً في المدة الاخيرة. وكان يرتاح لرؤية الولدين يلهوان ويلعبان. وقد ساعداه في جز عشب الحديقة، وقدمت لهم إميلي عشاء مؤلفاً من السباغيتي. وقد استمتع بكل ذلك، وبرفقة إميلي اكثر من أي شيء آخر. كان يشعر بالإرتياح معها، وقد اصبح جزءا من العائلة.

التقط الكرة ورماها في ماء النهر، ليتلهى بها فريد ليضع دقائق ليعيدها ثانية إليه. تمدد على العشب وهو يتأمل ما حوله. لقد أحب هذه المدينة الصغيرة لحظة وطئت قدماه ارضها لإجراء المقابلة، للعمل في مشفاها.

جاء بعدما انهى فترة تدريبه في فيلادلفيا. ولم يندم على اختياره. وبعد موت والديه بحادث السيارة، لم يعد لديه مسؤولية زيارتهما، وتفقد احوالهما والقلق عليهما، لم يعد يريد الذهاب الى أي مكان آخر، سوى البقاء حيث هو. ابتسم لسارة وهي تمد لسانها لأخيها لتغيظه. لقد

«اعتقد انه يجب وضع قطع اللحم على الشواية الآن يا لوك.» نهض لوك وامتثل لكلامها ووضع قطع اللحم على النار للشواء. قالت:«اعتقد يجب ان ترتاح، فقد عدت متأخرا مساء أمس.» واحمرت وجنتاها عندما انتهت من كلامها. ما كان يجب ان تتفوه بذلك، حتى لا يظن انها تنتظر عودته.

قال:«وكيف عرفت ذلك، يا سيدة كورنيل؟ كلا لا تقولي شيئا، لا بد أن مادج هي من اخبرتك. هذه المرأة تعرف كل شيء، وهي تسعد بأن تشارك الآخرين به.»

اجابت:«مسكينة مادج، فهي لا تقصد أي إساءة. لكنها من دون اولاد، ولا عمل لديها إلا النظر من الشباك و مراقبة الآخرين. انا بقيت ساهرة حتى وقت متأخر وأصبحت اعرف طريقة إغلاقك لباب السيارة.»

قبل لوك تفسيرها من دون المزيد من التعليقات وقال مبررا تأخره:«انشغلت مساء امس بطفل حصلت له مضاعفات بعد إجراء العملية، فقد توقفت إحدى رئتيه عن العمل. ولا نعرف متى يحدث شيء كهذا. لقد بقيت انا وطبيب التخدير بجانب الطفل الى ان زال عنه الخطر.»

«يا للصغير المسكين، هل هو بخير الآن؟»

بدأ اللحم ينضج، وعبق الدخان ورائحة اللحم المشوي يصل الى أمكنة أبعد.

قال:«أوه نعم يا إميلي إنه بخير الآن، الوالدان مذعوران، لكن الطفل بخير الآن. صدقا أقول انه بخير.»

تنهدت ثم قالت:«اعلم يا لوك. لا شك عندي انك جراح ماهر. لكن خطر ببالي، أنه لو قدر وخضعت سارة او ميشال لعملية جراحية، لا أدري كيف سأجتاز أزمة كهذه لوحدي. وهذه من ضمن الاشياء التي ا فكر فيها احيانا ليلا قبل ان اخلد للنوم و... » التفتت إليه وكانت عيناها تبرقان وكأنها كانت على وشك البكاء. أضافت:«لكني سأتجاوز الأمر.. اعلم أني سأتجاوزه، لكنه لن يكون سهلا.»

قال يجيبها:«لا يوجد أمر سهل. لا شيء اسوأ من الشعور بالعجز عند إجراء عملية ما، او في حالة طوارىء طبية. هذا ما حصل معي عندما اصيب والداي قبل ان يموتا. شعرت بالعجز التام، وأنا طبيب. أراقب أهل مرضاي وأتعاطف معهم، وأشعر معهم، وأحاول جهدي تهدئة مخاوفهم. لكن خارج نطاق قدرتي وهو

ان أحاول بذل جهدي اثناء العملية، لا استطيع عمل الكثير.»

قالت إميلي:«لا شك عندي انك تبذل قصارى جهدك يا دكتور. لكن أعتقد أنه يجب ان تقلب اللحم على الوجه الثاني، لأن الأول قد بدأ يحترق.» ثم أخذ يتحدث حول جدارته فن الطبخ. وجاء ميشال، وطلب منه بكل وقارة وجدية ان يتحدث معه على انفراد.

قال لوك:«طبعا يا صغيري.» وأمسك يد الطفل وابتعد عن إميلي وسارة. بينما كان فريد يستلقي على العشب ويستغرق في النوم. ثم تابع:«ما الامر يا ميشال؟»

جلس ميشال بقرب فريد وراح يربت على جسمه، قال ميشال:«إنها أمي. اتعتقد انه بإمكانك إجراء عملية لها؟»

كان لوك مستعداً ليسمع أي شيء إلا هذه العبارة، وهذا الطلب الغريب. أعاد ميشال الطلب، فسأل لوك:«لكن لماذا يا ميشال؟ اتعتقد ان أمك مريضة؟»

اومأ ميشال برأسه موافقاً وقال:«اعتقد انها مريضة يا دكتور مانينغ. انها متعبة جدا، لأنها تعمل كثيرا، وأحيانا تبكي، مثلما عندما

اسألها من أخذ الى حفلة الآباء والأبناء للعبة البيسبول في نهاية الموسم. ويحدث هذا في سبتمبر /ايلول. جيسون هيندريكس سيأخذ والده، وشيلا ووترز ستأخذ خالها جاك. وأنا ليس لدي أحد لآخذه. اعتقد أني سأحصل على جائزة، كأفضل لاعب.»

رد لوك:«فهمت.» وفهم جيداً اكثر مما عبرت عنه كلمات ميشال. وتذكر ان أحد الطفلين ذكر أنه إميلي تبكي احيانا.

قال يجادل الطفل:«لكن مادخل هذا بطلب إجراء عملية لوالدتك؟»

اجاب ميشال ببراءة الطفولة:«انت رجل تصلح الأشياء، وعندما تعاين الاطفال تصلحهم، ليعودوا معافين ويلعبون كالسابق. هذا ما قلته أتذكر؟»

تذكر ما قاله للطفل، ولام نفسه على الطريقة التي وصف نفسه بها. وقال:«أذكر بالطبع يا ميشال مع وجود فارق. فأمك ليست مريضة فعلا. أليس كذلك؟ فلم لا تخبرني ماذا تريده بالضبط؟ ماذا تريدني ان افعل؟»

قال ميشال:«ما أريده هو ان تجعل أمي سعيدة ثانية. كنت في قاعة الطعام أمس، عندما كانت

العمة مادج تتناول القهوة مع أمي. لم اكن اقصد ان استرق السمع، لكن سمعت ما قالتاه.»

قال لوك:«وماذا سمعت يا ميشال؟»

فقال ميشال:«قالت العمة مادج ان الأمر غير صائب. وأنه يجب ان يكون لي أب ليأخذني الى الحفلة، وأنّ سارة لن تبكي إذا ما بقيت أمي معها طوال النهار. ثم بدأت أمي تبكي، بصمت وبالكاد سمعت صوت بكائها. ثم قالت العمة مادج...»

لكن لوك اسكت الصبي بتلويح يده وقال:«لا بأس يا ميشال، اعتقد أني فهمت الفكرة.»

قال ميشال:«إذن ستفعلها؟ ستصلحها؟ لقد قالت العمة مادج انك الرجل القادر على ذلك، وهي تحتاجك؟»

اخذ لوك يحدث نفسه:شكراً، تهاني الحارة. دعوة واحدة لعشاء وبعض اللقاءات العائلية الصغيرة، وقد تم اختيارك لتصبح والداً لميشال، ويتدخل من مادج سنكلير. لماذا لا يهرب من هنا، وإلى أبعد ما تستطيع رجلاه ان تحمله.

لدى عودتهما، كانت سارة نائمة، فرفعها لوك

بين يديه وحملها الى الداخل المنزل، بينما فتحت إميلي الباب وابتعدت جانباً لتتيح له الدخول. لكي يضع الطفلة في سريرها.

كان النهار جميلاً وصافياً واستمتع الجميع. وما أدهش إميلي ان لوك انسجم مع العائلة تماماً وشارك في مرحها وألعابها.

كان كل يوم يمر يزداد قرباً منها ومن العائلة. لو لم تزرع مادج تلك الفكرة في رأسها. كان لوك رائعاً مع الطفلين. وبالنسبة لها كانت تزداد تعلقاً به يوماً بعد يوم. كان وسيماً وناجحاً في عمله، ويعامل ولديها معاملة رائعة كما لو كان والدهما فعلاً. غير ان اكثر ما أحبت فيه حسه الفكاهي وميله للدعابة. كانت تراه حتى عندما تغلق عينيها لتنام ليلاً. لتعترف بالأمر، هي إميلي كورنيل الأرملة والأم لولدين، تطورت مشاعرها لأكثر من صداقة اتفقا على تحديدها منذ البداية. قادته الى غرفة النوم، ورفعت الغطاء وقالت له:«ضعها هنا من فضلك. ستنهض بعد ساعة او ساعتين، وتسأل كيف وصلت الى هنا؟ وعندها يمكنني غسل وجهها ويديها وأسنانها.»

انحنى لوك وطبع قبلة على جبين الطفلة، ارتجفت

إميلي وداخلها شعور بالغيرة من إبنتها. لكن الأفضل لها ان تتمالك نفسها وأعصابها. ربما كانت تريد اكثر من الصداقة، لكنها التزمت حدودها ولم تسمح لنفسها بالانجرار بعيدا. فقد لا يكون مستعدا لأي مغامرات عاطفية بعد.

قال:«لقد طلبت من ميشال ان يأخذ فريد الى بيته، وان يتغيب لدقائق عند مادج، ريثما اتبادل الحديث معك يا إميلي. هل يمكن ان نذهب الى المطبخ لنتحدث؟»

يبدو جادا في طلبه. لكن قد يقول لها انه تعب من ان يصبح جزءا من خططهم العائلية. فميشال هو من طلب تلك النزهة. لكن كم من الوقت كان قادرا على منح هذه العائلة وهو الطبيب المشهور؟ أهذا ما يريد قوله؟ لا يبدو ذلك منصفا. لم تكن مستعدة لقطع العلاقة بعد. قالت:«نتحدث؟ بالتأكيد يا لوك. اتريد بضع الشاي المثلج اولا.»

قال:«لا بأس بالشاي المثلج.»

قالت بعد ان احضرت كوبي الشاي المثلج:«أود ان اشكرك لأنك كنت طويل البال مع الطفلين كوالد.»

قال يجيبها:«انا جيد ببعض الاشياء، لكن اخشى ألا اكون عند حسن ظن ميشال في اشياء اخرى كثيرة. لكن سأحاول ان اعلمه ما استطيع.»

قال:«الشاي لذيذ الطعم، كيف تصنعينه؟»

قالت:«إذا كنت ترغب سأعلمك طريقة صنعه وقد قرأته في إحدى المجلات.»

بعد فترة صمت قصيرة سألها:«اخبريني يا إميلي، ألم تفكري بالزواج ثانية؟»

حاولت تجاهل السؤال والتظاهر بارتشاف الشاي، لكنه امسك يديها بين يديه وقال:«ارجو ان تسمعيني جيدا يا إميلي. ميشال وسارة بحاجة لوالد. وأعتقد انك قد تحسنين استخدام زوج. ليس من السهل عليك تربية ولدين، وامتلاك منزل، من دون مساعدة.»

لقد اخبرها شيئين تعرفهما. لكن ما لم تعرفه هو ما سيقوله لاحقا، قالت وقد بدأ ينتابها الغضب:«حسنا، المزيد من النصائح، اولا مادج، والآن انت. ما الذي تريد قوله؟ ما الذي تقدمه؟ انا مصغية لك يا لوك، ربما اضع إعلانا في جريدة يقول انني بحاجة لأب يكون لطيفا مع الاطفال، ويعرف كيف يصلح اعمال السمكرة،

والأدوات الكهربائية، ويكون حرّاً ايام الأحاد للإهتمام بالقمامة، ويجب ذكر المراجع.» وقفت بسرعة وسحبت يديها من يديه بحيث أطاحت بالكرسي الذي كانت تجلس عليه. عقدت يديها على خصرها وقالت:«لوك. اتعتقد ان الأمر بهذه البساطة؟ ثم ما الذي يجعلك تعتقد أني أريد الزواج ثانية؟ لا أريد كما تعلم، حتى أني لا أفكر فيه.» وتطلعت من النافذة حتى لا تنظر في وجهه مباشرة وهي تلقي بكذبتها هكذا! لكن لوك كان خلفهامباشرة، ولا تدري كيف وصل الى هناك على بعد سنتمترات قليلة منها وكان صوته خفيفا.

قال:«أسف لم أقصد أن أهينك ولا ان أكون فظا او وقحا، لكن الأمر خطر لي الآن، ولم يكن لدي الوقت لأحضر خطابا بليغا. لكن ارجوك اسمعيني.»

عضت على شفتها وأومأت برأسها موافقة على سماعه. قال:«اخبرتك انني خطبت امراة ذات مرة. وعندما فسخت خطوبتي على جوليا وعدت نفسي ألا أقع في الحب ثانية. الأمر مؤلم. ولا أحب ان تؤذى مشاعري مجددا، لكني أحب الاطفال يا إميلي، وأحب فكرة

ان يكون لدي أطفال، وعائلة.» سكت، وقد لاحظت أنه يجد صعوبة في الإستمرار. لكنه نجح في الاستئثار باهتمامها وربما أيقظ فيها الأمل. كانت تعلم ما سوف يقوله بطريقة او بأخرى. استدارت وواجهته قائلة:«حسنا. لدي ولدان، عائلة جاهزة تسكن على بعد خطوات منك، من دون مطالب، ولا مشاكل، ومن الحاجة للهاث خلفي، وهناك مجال لوجود شخص رابع، وهذا منطقي جدا. وهو مناسب من جميع الجهات. أهذا ما تريد قوله. أليس كذلك؟»

اشاح بوجهه ووضع يده على جبينه ثم قال:«كم تصورين الأمر باردا، وكأنه فحص سريري. لكن نعم، هذا ما كنت أرمي إليه. ولست أفكر بنفسي فقط، بل بك وبالأولاد كذلك. الجميع يستفيد من ذلك يا إميلي، يمكنك ترك عملك والبقاء في المنزل مع سارة. ويمكن لميشال ان يعتبرني والده لأرافقه الى حفلة البايسبول.»

هزتها كلماته بالصميم، وراحت شفتها السفلى ترتجف، ثم قالت:«اخبرك ميشال إذن عن الإحتفال؟»

قال:«نعم، اخبرني.»

قالت:«وماذا أخبرك ايضاً؟» راودها شعور ان ميشال سمع ما تحدثت به مع مادج، ونقله للوك. اضافت:«هل أخبرك اني بكيت أمس؟»
وضع يديه على كتفيها، فانخرطت في بكاء غزير بللت سترته. قال:«انسي كل ذلك يا إميلي، لا يهم ما أخبرني به ميشال. ربما كنت وصلت لنفس النتيجة بنفسي. لكن حديثي مع ميشال بعد الظهر جعلني أسرع الخطوات. إميلي زواجنا قد ينجح.»
قالت:«لأنك تحب أولادي؟»
قال:«ولأني معجب بك كذلك ولأني اعتقد انك تستلطفيني. وفهمت انك لم تفكري بالزواج ثانية. وكلانا لديه عاطفة، انت تجاه زوجك، وأنا تجاه جوليا. ما لدينا هو صداقة جميلة، والأولاد هما القاسم المشترك بيننا. وفي المستقبل إذا أردنا يمكننا إعادة بناء زواج حقيقي. لكن في الوقت الحاضر نصف رغيف افضل من لا شيء.»
ردت إميلي:«إذا كان كلانا يريد ذلك.» من دون حب ولا رومانسية، تماما مثل زواجها من مارك، وقد افترض ان الأمر محسوم لكنها تريد شيئاً من الرومانسية. تابعت:«يمكننا ان نقيم زواجا فعليا إذا أردنا. هذا مثير يا لوك.

لكن كيف سنتواصل بهذا الموضوع، بالإشارات الضوئية؟ لن ينجح الأمر يا لوك.» كانت تعرف لوك الصديق ولكن ليس الرجل او الزوج الذي اقترحه. واردفت عنه وقالت:«أوه... لا أدري.»
قال وهو يلحق بها:«لا ألومك. كان يجب ان اعود الى المنزل وأفكر بالأمر مليا، بدل ان ألقيه كالقنبلة هكذا. لقد تسرعت.»
ابتسمت وقالت:«ربما انت على حق يا لوك. انك على حق اننا متفاهمان، والولدان يحبانك، خصوصا ميشال، وهما يحبان فريد. وقد يوفر هذا لي الفرصة لأبقى مع سارة في المنزل، إذا كنت جادا في توقفي عن العمل. كل النقاط الايجابية تتجمع لصالح هذا الزواج. لكن ماذا ستستفيد انت من هذا الزواج؟»
ابتسم ثم قال:«قلت لك يا إميلي، اريد عائلة.»
اسرعت وفتحت له الباب ليخرج، قبل ان تنهار وتقبل ما يقترحه عليها، حب أفلاطوني.قالت وهي تراه يغادر:«آه، طبعاً سيكون لديك عائلة وسيحب فريد ذلك. هل يمكن اعطائي فرصة للتفكير. لكن شيء آخر. في حال وافقت، هل سيكون ذلك مكتوبا؟»
قال:«كلا، لا داعي. طالما كلانا متفاهمان.»

قالت:«لا اعتقد ان ذلك ضروري. انا من جهتي لن انسى القواعد وأنت أليس كذلك؟»

انحنى وقبل خدها بطريقة صداقة. كانت تتمنى ان تقبّل كإمرأة وتبادله هي القبل، لكنها أمسكت نفسها.

قال:«سأتصل بك غداً، ميشال لديه مباراة فقد نوصله، وبعدها يمكننا تناول المثلجات والآيس كريم.»

اجابت:«يبدو ذلك رائعاً يا لوك. يمكنك ان تأتي لاصطحابنا في السادسة.»

الفصل الخامس

التقط لوك الرسائل التي دست من تحت الباب، بينما كان يتوجه نحو المطبخ، تعرف الى خط جوليا حين امسك بمغلف عليه عبارة بالداخل صورة لا تثني المغلف. جلس الى الطاولة وحمل المغلف بين يديه، تساءل عما يمكن ان يكون بداخله. ربما صورة لها ولزوجها وابنهما. الصبي يبلغ اربعة أشهر عن عمره الآن، وهو الوقت الذي يبدأ الأهل الفخورون بأولادهم يأخذونهم الى محلات التصوير لالتقاط الصور التذكارية. لا بد أن لديه دزينة صور لأولاد زملائه الاطباء موضوعة في احد أدراج قاعة الطعام. قلب المغلف وفتحه. لو سار كل شيء على ما يرام لكان هذا الغلام إبنه هو، لو لم يتواجد ماكس في ذلك الوقت. تقدم نحو البراد وأخرج قارورة مرطبات معدنية، ثم انصرف الى الرسالة. كان فريد أنيسه وجليسه الوحيد خلال السنتين الماضيتين، كل ما فعله لوك خلال السنتين المنصرمتين كان ملء الفراغ الذي احدثته جوليا في حياته. الساعات الطويلة في

المستشفى وفي العيادة. بعدما تجاوز أزمة فراقها، وتناسى حبها، ظل يكافح لملء الفراغ، وليدخل البهجة والسعادة الى حياته. لكن ذلك لم يعرفه الى ان تعرف على إميلي كورنيل وولديها، وأصبحا جزء من حياته اليومية. لم يكن يشعر بالمرارة ولا بالغضب فهو غير قادر على ذلك، كان سعيداً لأن جوليا عرفت الاستقرار في حياتها، وأنّ فسخ الخطوبة كان قراراً صائباً من ناحيته. آلمته التجربة بشدة وتركت جرحاً عميقاً، لا يدري ان كان سيتعافى منها. كان مصمماً ألا يمر بتجربة مؤلمة اخرى، وبنى جداراً حول قلبه ليحمي نفسه من الأذى ثانية. لكنه لم يخف الرغبة في ان ينتمي لشخص ما. ان يكون الى جانب فريد شخص آخر يستقبله عندما يعود مساء. لهذا تقدم من إميلي. وينتظر منذ اربعة أيام جوابها الذي لم يصله بعد.

فتح الرسالة بعنف وأوقع الصورة على الأرض. ثم ضحك، ضحك حتى آلمته خاصرتيه. تخلص من حزنه، لم يعد يربطه شيء بجوليا، تخلص مما يشده إليها. كان سين رافتري نسخة مصورة من الأب. كان ولداً وسيماً لطيفاً. يمكنه تمييزه من بين كل الاطفال.

لأول مرة شعر بالارتياح. ثم سمع طرقاً على الباب. نظر من الشباك ليجد إميلي كورنيل تحمل بيديها طبقاً. وضع الصورة داخل المغلف ووضعه على ظهر البراد، ثم فتح الباب.

استقبلته بابتسامة رائعة، تقدمت ووضعت الطبق على الطاولة. تساءل عن رد فعلها فيما لو تقدم وقبلها. لكنه لم يفعل.

قالت:«طبخت هذه الطبق قبل ذهابي للعمل، واعتقدت انك ربما تحب ان تتذوق شيئاً منه. اعتقد أني طهوت لجيش صغير. سيأتي ميشال ومعه السلطة المرافقة للطبق. اما سارة فقد ذهبت مع مادج الى المتجر لتشتري ستائر لغرفة نومها.» واثناء الحديث كانت تفسح له المجال ليجلس فيه الى مائدته. وراحت تتحرك بعفوية ورشاقة، بدت وكأنها تعلم اين يضع كل شيء.

وقف لوك جانباً وتركها تفعل ما تريد من دون تدخل منه. ورائحة اللحم الشهية تفوح من القدر. كانت فكرة تقبيل إميلي تزداد قوة لحظة بعد لحظة.

قالت:«يمكنك الجلوس والبدء بالأكل يا لوك. آمل ان يعجبك الطعام.»كانت إميلي طاهية ماهرة،

لكن لم يكن الطعام هو الوحيد الذي أعجبه. بل جلوسها قبالته، وراح يحدثها عن احداث اليوم في المستشفى، بينما كان ميشال وفريد يلهوان في الفناء. غرس شوكته في قضمة ووجهها نحوها، قال:«رأيتك تحدقين بها، هيّا تناوليها. خذي قضمة.»

قالت:«لاحظت ذلك. لكني تناولت الكثير منها. حسنا سآخذ قضمة.» وانحنت للأمام وتناولتها، وهو يمعن النظر الى فمها ويبتسم. وأحس بالجوع، لكن ليس للطعام، بل لشيء آخر. كان يريد يأخذها بين ذراعيه، ويضمها. لكنه تمالك نفسه، ولام مشاعره، فقد عاهد نفسه الا يتورط في مشاكل عاطفية. وهو وعد اميلي بحب افلاطوني فقط.

نهضت وقد جمعت الأطباق وقالت:«عليك بغسل الصحون، فقط طهوت، هذا ما يسمى تقسيم العمل. أليس هذا عدلا.»

لم ينظر إليها ولم يجرؤ على النظر إليها خوفاً من ان يفلت منه الزمام ولا يعود قادراً على السيطرة على نفسه. وان استدار لن يتمالك اعصابه، وسيقبلها لا محالة. وان قبلها لربما ظهرت عواطفه دفعة واحدة، وربما سيجعلها

هذا تفر صارخة من منزله ويضع نفسه بمشكلة هو في غنى عنها. قال بعد ان تنحنح:«إميلي هل فكرت بالعرض الذي قدمته لك؟»

وضعت الاطباق في المجلى وجلست الى الطاولة وقالت:«لكن يا لوك بالكاد مرت اربعة أيام. لم يكن لدي الوقت لأفكر جديا وملياً فيه. لكن نعم كنت أفكر فيه واعتقد ان...»

اندفع ميشال وفريد داخل المطبخ وقال ميشال:«دكتور مانينغ؟ اعتقد ان فريد يريد ان يشرب، وأنا ايضا اريد ان اشرب، هل لديك عصير. كان لديك عصير البرتقال نهار أمس.»

تمنى لو لم يحضر ميشال الآن، لكنه قال:«بالطبع أيها النمر. لازال البعض منه في الثلاجة، إذهب وأحضره، بينما احضر انا الأكواب، اتريدين يا إميلي؟»

اجابت:«شكراً لك، كلا. سأترككما الآن لتشربا العصير. يجب ان اعود للمنزل، لدي غسيل ينتظرني، لكن اتعتقد انه بإمكانك المجيء لاحقا، عندما يأوي الأولاد الى الفراش؟»

اومأ برأسه موافقا. وهو يفكر ما كانت ستقوله لو لم يدخل ابنها تلك اللحظة ليقطع حديثهما. كانت اميلي تزرع غرفة نومها بتوتر وهي تفكر

فيما قاله لوك. لم يكن يريد زوجة بل عائلة. كان واضحا لدرجة الفظاظة. ايمكنها ان تقبل بذلك؟ ماذا عن الحب والعاطفة والأمور الحميمية. اين سيكون هذا كله؟ كان يريد الولدين ، وهي لا بد ان تكون من ضمن الصفقة. وبالطبع ستكون بمتناول اليد إذا ما ارادها. لكن ماذا عن اطعامها بيده، اليس هذا غزلا، ونوعا من الإنجذاب. كان الاعجاب يزداد بينهما بمرور الوقت. لكن أليست هي من قالت انها لا تبحث عن الحب، وأنها لا تخطط للزواج ثانية. لماذا كذبت عليه؟ ولماذا أكذب على نفسي؟ ولماذا انا خائفة؟ ألم يمت مارك منذ أمد بعيد؟ لماذا لا أضع الماضي وراء ظهري. رفعت يدها الى شعرها وتطلعت الى المرآة. وقالت تحدث نفسها. ثم إن لوك يجدني صالحة لزواج افلاطوني. من أين جاءه هذا الانطباع ومن قال ان الأرامل يجب ألا يبحثن عن الحب. وفي أي كتاب يقول ان المرأة عندما تصبح أما لا تحتاج للحب والغزل والرومانسية والكلمات الحلوة، والضم والعناق والتقبيل؟ انا لازلت في السادسة والعشرين. فلماذا أثير فيه عواطف العائلة، وليس عاطفة الحب الحقيقية؟ توقفت عن

تسريح شعرها، وانحنت للإمام، تأملت وجهها. تأوهت، كان تبرجها خفيفا جدا. أما ثيابها فلا يمكن ان تقاس بثياب جوليا سنزرلاند رافرتي، صاحبة دار الأزياء المشهورة. ان متجر الألبسة الذي تعمل فيه يسوّق ألبسة جوليا، وتعرف كل شيء عنها. لكن الملابس القطنية كانت المفضلة لديها. فهي عملية، سهلة الغسيل والكوي. ثم ان ميزانيتها لا تتحمل شراء ثياب غالية الثمن وعليها ان تدفع لمن تجالس اولادها ولطبيب الأسنان وغيره من النفقات الضرورية الملحة. وجدت نفسها تقول:إميلي، واجهي الحقيقة. انت تشبهين والدة أحدهم، عندما تذهب بعد استدعاء لها. او كمن يبني أكواخا، او كعاملة تلصق بطاقات الأسعار في أحد المتاجر، انت لا تشبهين امرأة يحلم بها رجل لتكون حبيبته. استرسلت في تأملاتها، لماذا في سن السادسة والعشرين كانت تنظر للزواج يحمل كل شيء إلا الحب. ابتسمت، إنها في السادسة والعشرين وهو في الخامسة والثلاثين، وقد يتغير الكثير من الأمور. عليها ان تحاول تحاول تحريك عواطفه للناحية التي تريدها، لا ان تدع له المجال للتحكم بها. يمكنها ان تحبه ويحبها

كما يفعل باقي الناس. كانت تبتسم بعد ساعة من إجراء ذلك الحوار الداخلي، عندما جاء لوك وطرق الباب.

قالت:«مرحبا بك يا لوك، تفضل بالدخول.»

جلس بينما سكبت كوبين من الليموناضة.

قال لوك:«إذا يا اميلي هل نام الأولاد؟»

اومأت برأسها موافقة وجلست قربه. لكن جسدها وأفكارها بدأت تخونها. قالت:«نعم انهما يغطان بالنوم. ولقد دعوتك كي نتحدث دون ان يزعجنا احد او يقاطعنا أحد عن عرضك الذي قدمته للزواج.»

قال:«في الواقع، لقد ظلمتك بطلبي بهذا الشكل المفاجيء، كنت افكر بنفسي وما ساكسبه من هذا الزواج. وأعتقد اني لم أكن عادلا معك، يا إميلي.»

قالت من دون مقدمات:«قبلت ان اتزوجك يا لوك.»

قال لوك:«أحقاً؟ يا إميلي هذا رائع.»

ابتسمت وقالت:«نعم، نعم، أليس كذلك؟»

قبل ان تقول شيئا آخر، انحنى نحوها وقبلها في خدها وقال:«إذن الأمر قد سوّي. وبما أن ليس لدينا أهل، يمكننا الزواج بهدوء.

وقد يكون شهر أغسطس/ آب مناسبا جداً.»

قالت:«سيكون اغسطس مناسبا. لكن انت تأخذ زواجنا بحرفيته بتقبلي في خدي. ألا تجدني جذابة قليلا؟ أم تراك تريد المضي بالصداقة حرفيا؟»

قطب حاجبيه وقال:«هل يزعجك ان أكون في مكان مارك؟»

قالت:«ماذا؟ لا أريد التحدث عن زوجي الآن، أرجوك. ولا أريد سماع إسم جوليا. ليس إذا كنا سنتزوج. قد يكون زواج صداقة، لكني لست بارعة في اخفاء مشاعري.»

هالها ان يجري الحديث عن الزواج كما لو كانا ينتقيان سجادة، لا شيء عن الحب والعواطف والرومانسية. ولا ملامسة وضمة ولا عناق. كان الأمر مضحكا. لكنها قالت نعم وقد وافقت.

قال:«موافق، سنخبر الأولاد غدا، سويا إذا شئت عند المساء.»

غمغمت إميلي بالموافقة، ورافقته حتى الباب واخذت تنظر إليه حتى دخل منزله.

سمعت صوت الهاتف يرن، فأهملت الرد عليه. لا بد أنها مادج التي كانت ترابط في شباكها تتصيد الأخبار. كانت بحاجة للإنفراد بنفسها

كما يفعل باقي الناس. كانت تبتسم بعد ساعة من إجراء ذلك الحوار الداخلي، عندما جاء لوك وطرق الباب.

قالت:«مرحبا بك يا لوك، تفضل بالدخول.»

جلس بينما سكبت كوبين من الليموناضة.

قال لوك:«إذا يا اميلي هل نام الأولاد؟»

اومأت برأسها موافقة وجلست قربه. لكن جسدها وأفكارها بدأت تخونها. قالت:«نعم انهما يغطان بالنوم. ولقد دعوتك كي نتحدث دون ان يزعجنا احد او يقاطعنا أحد عن عرضك الذي قدمته للزواج.»

قال:«في الواقع، لقد ظلمتك بطلبي بهذا الشكل المفاجيء، كنت افكر بنفسي وما ساكسبه من هذا الزواج. وأعتقد اني لم أكن عادلا معك، يا إميلي.»

قالت من دون مقدمات:«قبلت ان اتزوجك يا لوك.»

قال لوك:«أحقاً؟ يا إميلي هذا رائع.»

ابتسمت وقالت:«نعم، نعم، أليس كذلك؟»

قبل ان تقول شيئا آخر، انحنى نحوها وقبلها في خدها وقال:«إذن الأمر قد سوّي. وبما أن ليس لدينا أهل، يمكننا الزواج بهدوء.

وقد يكون شهر أغسطس/ آب مناسبا جداً.»

قالت:«سيكون اغسطس مناسبا. لكن انت تأخذ زواجنا بحرفيته بتقبلي في خدي. ألا تجدني جذابة قليلا؟ أم تراك تريد المضي بالصداقة حرفيا؟»

قطب حاجبيه وقال:«هل يزعجك ان أكون في مكان مارك؟»

قالت:«ماذا؟ لا أريد التحدث عن زوجي الآن، أرجوك. ولا أريد سماع إسم جوليا. ليس إذا كنا سنتزوج. قد يكون زواج صداقة، لكني لست بارعة في اخفاء مشاعري.»

هالها ان يجري الحديث عن الزواج كما لو كانا ينتقيان سجادة، لا شيء عن الحب والعواطف والرومانسية. ولا ملامسة وضمة ولا عناق. كان الأمر مضحكا. لكنها قالت نعم وقد وافقت.

قال:«موافق، سنخبر الأولاد غدا، سويا إذا شئت عند المساء.»

غمغمت إميلي بالموافقة، ورافقته حتى الباب واخذت تنظر إليه حتى دخل منزله.

سمعت صوت الهاتف يرن، فأهملت الرد عليه. لا بد أنها مادج التي كانت ترابط في شباكها تتصيد الأخبار. كانت بحاجة للإنفراد بنفسها

لاستيعاب ما حصل ولماذا حصل. إنها اميلي كورنيل، الأرملة والأم لولدين، ستخطب للدكتور لوك مانينغ، الرجل الاعزب الوسيم. شيء لا يصدق. ولداها سيكون لهما أب. ومشاكلها المالية ستنتهي. ربما يوما ما سيكون لها زوج بكل ما للكلمة من معنى. كان هذا هو الحلم الذي راحت تتخيله. لوك قال انهما صديقان، لكن ما الذي يمنع ان يكونا حبيبين؟ قد تحصل اشياء غريبة، أليس زواجها منه شيئاً غريباً. يجب ان تكون سعيدة، سعيدة جداً. لكن لماذا بدأت دموعها تنهمر على وجهها!

الفصل السادس

قالت إميلي معلقة على مكان السكن المقترح الجديد:«لكنها لا تبعد كثيراً عن مكان سكننا.» بينما كانوا يقتربون من مشروع بيوت سكني يقام حديثا. كان المشروع يتألف من بيوت مستقلة عن بعضها. ولا تبعد أكثر من خمس كيلومترات عن المستشفى الذي يعمل فيه لوك. قال لوك وهو يقف امام إحدى هذه البيوت وكان قيد الانشاء:«انا مندهش كذلك. إخبرني بن عن المكان، وقال انه سيكون مميزا عندما ينتهي العمل فيه. وترددت لأني كنت أبحث عن منزل جاهز للسكن. لكن بعد الرعب الذي لاقيناه أثناء التفتيش في الأسبوع الماضي بدأت أفكر بزيارة هذا المكان ، لأرى ما إذا كان ما قيل لي ينطبق على الواقع.»

لكن إميلي كانت حائرة. سوف يستغرق إنجازه ستة اشهر قبل ان يتمكنوا من الانتقال إليه، وربما سنة حتى وكما قال لوك، انه من الافضل شراء منزل جاهز بدل ان يبنوا منزلا. وأجالت النظر فيما حولها. كانت هناك عربات قطار على

السكك. ومراجيح نصبت للأولاد للتأرجح، وأولاد يركبون دراجاتهم الهوائية على الرصيف. كانت منطقة جميلة دون شك. قالت إميلي:

«البعض من هذه المنازل مأهول. كنت اعلم ان هناك مشروعا قيد الإنشاء لكن لم أعلم انه بلغ هذا الحد.» والمنازل الاخرى التي رأوها، كانت كلها لازالت قيد الإنشاء، كتلا من الحجارة، وعمليات توريق الجدران. لكن داخل هذه المنازل اشخاص يسكنونها. كانت منازل حقيقية تضج بالحياة. والاشخاص الذين امتلكوها يحاولون جعلها منازل مريحة تعني لهم الاستقرار والإلتزام.

بقيت إميلي داخل السيارة، وقد تجمدت يدها على مقبض الباب المفتوح، وكأنها لا تريد الخروج، او حتى خائفة من الخروج من السيارة. لم يكن الوقت مناسبا لفحص مشاعرها الآن ودوافعها. كان الوقت مبكرا لبناء قصور في الهواء. لقد جلسوا داخل السيارة الرياضية التي كانت بنظر ميشال اكثر من رائعة، لكنه جلس مع اخته في المقعد الخلفي الذي لم يترك الكثير من المجال للقدمين وحرية الحركة. أمس عندما كان عليه ان يجلس لمدة ثلاث ساعات

مع اخته في المقعد الخلفي الضيق، حيث كانوا يتنقلون من مشروع بناء لآخر بحثا عن منزل يناسبهم. واليوم امضوا ثلاث ساعات طويلة يتنقلون في ضواحي ألينتون، يشاهدون المزيد من المنازل ويدونون الملاحظات والعناوين وأرقام الهواتف للمنازل المعروضة للبيع.

كان لوك ينوي ان يجد منزلا قبل نهاية الاسبوع.

من جهتها راحت اميلي تعرف المزيد عن لوك منذ اتفاقهما على الزواج. كان اتفاقا وليس حبا. لكنها كانت تطمح وتتخيل لما هو أكثر من مجرد اتفاق، وزواج افلاطوني، وأن الأيام ستغير الكثير من الأمور.

كان لوك يختلف عن زوجها مارك. فمتى صمم على شيء بادر بتنفيذه على الفور، من دون تردد. وهذا ما جعلها تتوتر، وتشعر بالإرهاق. استغرق مارك ستة اشهر ليقرر لون الطلاء الذي يدهن به غرفة الجلوس. اخضر فاتح ربيعي.

كرهت هذا اللون، لأنه لم يطلب رأيها في الأمر. عندما عادت بالذاكرة الى الوراء، تبين لها ان مارك لم يستشرها في أي قرار اتخذه

خلال فترة زواجهما كلها. متى يتزوجان، اين يتزوجان، أين سيعيشان، وماذا يسميان الطفلين. كل شيء كان القرار فيه يعود لمارك، بما فيه قرار ترك الجامعة ودخول دائرة إطفاء الحرائق، كما فعل والده من قبل. لكن لم يعد لديها الوقت لتفكر بالماضي، ولا بموت مارك، ثم أبيه بعد سنة من وفاته، وكلاهما قضى في حريق. ولا حتى بالأخضر الربيعي. كان لديها اكثر من اربع سنوات طويلة مريرة تتخذ قراراتها بنفسها. لقد كبرت ونضجت الآن، سواء أرادت ذلك أم لم ترده.

كان قرارها ان تبيع المنزل الذي اشتراه مارك، وعاش فيه مع والده. والسكن في احد المنازل في ضواحي أليتاون. وأن تكون كل قراراتها نابعة من ذاتها. ومن آخر قرارتها الزواج مجدداً من لوك مانينغ الطبيب الناجح!

بعد تحديد موعد الزفاف، كان الهدف التالي للوك، هو البحث عن منزل للعائلة. بدا انه لن يرتاح حتى يجد المنزل. وكل حججها للانتقال الى أحد المنازل في المدينة لاقت أذنا صماء من المتآمرين الثلاثة، لوك وميشال وسارة. يجب ان يبيعا المنزلين اللذين يسكنان فيهما،

وقد ارتفعت يافطة معروض للبيع فوق منزل لوك، واليوم ستوضع اخرى فوق منزلها، بعدما اقنعها لوك بوجهة نظره، بضرورة البحث عن منزل جديد يناسب العائلة.

فريد والأولاد كانا بحاجة للمزيد من المساحة للتنقل بحرية كما قال لوك، وأهم من ذلك الابتعاد عن مادج سنكلير. فهو لا يريد العيش في منزل لا يبعد اكثر من بضع خطوات عن منزلها، وتراقب كل تحركاته. حاول ميشال الاعتراض لكن مارك شرح له انه لن يبتعد كثيرا عن مدرسته، ولا عن فريق البيسبول الذي ينتمي إليه.

أخذ ميشال يجمع أغراضه استعداداً للرحيل. بينما سارة لم تعلق على الموضوع بشيء، كل ما كان يهمها ان والدتها ستبقى معها طوال الوقت. وكان هذا اكثر من كاف بالنسبة.

ابلغت مدير عملها في متجر الألبسة انها سوف تستمر في عملها لأسبوعين آخرين. لكن المالك حاول إغراءها بزيادة راتبها وبترقية تخولها العمل ليلا في نهاية الأسبوع، لكنها اعتذرت. مما جعله يغضب ويطلب منها المغادرة على الفور.

لم تعترض إميلي، ولم تجادل، فلديها الكثير لتفعله في المنزل، توضيب ما يلزمها من الأمتعة في صناديق، ورمي الباقي مما لا تحتاجه. لقد تبرعت ببعض الأغراض وثياب مارك، لأحد دور الرعاية الإجتماعية. لماذا احتفظت بها طوال هذا الوقت؟ لا تدري. لكن حان الوقت للتخلص منها. تمنت لو تستطيع محو كل آثار الماضي من الخزائن والبدء بداية جديدة.

قال لوك:«هذا آخر منزل سنراه، اعدك.» وكان يقف قرب باب السيارة المفتوح وهي تتشبث به وكأنها لا تريد النزول. بدت غارقة في التفكير.

اضاف:«سنتوقف عند موعد الغداء، موافقة؟»

استدارت لأخذ حقيبتها اليدوية، ثم ترجلت وانضمت للوك والولدين اللذين سبقاها الى الرصيف، وهم يتأملون المنزل الفسيح.

قالت:«هذا يستغرق وقتا طويلا لإنجازه. ماذا لو بعنا منازلنا بسرعة، اين سنسكن حينئذ؟ سوف يكلف مبلغا باهظا. هذا ما أنا متأكدة منه.»

ابتسم لوك لها، ثم امسك يدها وسارا نحو الباب الأمامي. وقال:«كل شيء يكلف يا إميلي، ما ضير ان نلقي نظرة على المنزل؟»

بالكاد سمعت ما قاله، كانت لمسة يده في يدها، أصابتها بالخدر والحرارة التي انسابت منه إليها. تساءلت: منذ متى لم يلمس رجل يدها؟ كانت لمسة يده وكأنها صاعقة كهربائية قد مستها. وإذا لم يتوقف عن الابتسام ستنهار وتقع على الارض.

قالت:«جيد. أحب النوافذ. اتساءل كيف يمكن ان يتم غسلها كلها.» كان البناء مؤلف من طابقين.

أجاب لوك:«سلّم طويل، وخرطوم مياه طويل.»

فتح الباب داعيا إياها للدخول مع الأولاد.

قال:«واو، انظري الى هذا؟»

نظرت إميلي بذهول، واو ، هل التعبير الصحيح الذي تفوه به لوك. المدخل فسيح جدا وقد يسع غرفة جلوس وقاعة طعام، وبعض أدوات المطبخ. مما يبقى مساحة للتحرك.

كان الدرج المؤدي للطابق العلوي ظاهراً، وقد فرش بسجاد زهري، ثم يلتف لليسار صعودا الى شرفة، مزينة بخشب الماهوغاني الرائع. والثريا الكريستال تتدلى من السقف لتضفي منظرا رائعا.

بدت الجدران مزدانة برسوم جميلة من الريف.

كل شيء ينطق بالجمال والفخامة. وإلى اليسار قاعة الجلوس وموقد على الطراز القديم. والى اليمين باب زجاجي يؤدي الى قاعة الطعام. وكلا الغرفتين كان مفروشا بأثاث من طراز القرن الثامن عشر الفخم، من خشب الماهوغاني الغالي الثمن. وجميع الجدران غنية بالرسوم التي غطت بالكامل بورق الجدران الفاخر، المطلية بلون موف فاتح، ولون الخشب، واللونين الأزرق والأبيض. وهي من الألوان المفضلة لديها.

قالت إميلي معقبة:«هناك زهور في قاعة الطعام. وأدوات مطبخ من الخزف الصيني. هل انت واثق ان لا أحد يعيش هنا؟»

جفلت لدى سماع صوت يرحب بهم:«مرحبا بكم.»

كادت إميلي تقفز رعباً، واستدارت لترى امرأة نحيلة حمراء الشعر تخرج من باب جانبي يبدو أنه يقود للمطبخ.

قالت السيدة:«اسمي مونيكا وودوارد، أنا وكيلة المبيع، هل الولدين في قاعة العائلة لكما. انهما يجلسان على الأرائك.» بدا من لهجتها انها تريد التخلص منهما بأسرع ما يمكن.

أجاب لوك بصوت مهين بحت:«آنسة وودوارد، أدعى لوك مانينغ، وهذه إميلي كورنيل. وإسم الولدين سارة وميشال. نتمنى عليك البقاء مع الولدين، ريثما نكمل الجولة انا وخطيبتي في الطابق العلوي. وعندما ننتهي من جولتنا، سنعود إليك لنناقش التفاصيل.»

كانت إميلي تود التصفيق للوك لأنه وضع المرأة في مكانها الصحيح. كانت تتمنى لو فعلت هي ذلك. ثم ان ميشال وسارة لم يكونا يقفزان على الأرائك، بل يجلسان بأدب. راقها ان تسمع كلمة خطيبة. فتحت الآنسة رودوارد فمها لتعترض، لكنها بلعت اعتراضها وقالت:«طبعا يا سيد مانينغ.»

ابتسم لوك للآنسة، وعرفت إميلي الآن ان تلك الابتسامة هي ما سحرها في لوك. اضافت الآنسة:«يسعدني أن اكون بخدمتكم، وبعدها يمكنكما ان تسألا ما تريدان، ويسعدني أن اجيبكما على أي اسئلة. لكن تذكر ان هذا نموذج، ولدينا عدة نماذج وكلها جميلة ورائعة.»

ما ان غابت وكيلة المبيع، حتى ضحكت إميلي وقالت:«هكذا تبقي الممرضات في صف طويل

يا دكتور مانينغ؟ اتساءل كيف يمكنك ان تفعل ذلك؟»

قال:«أمل ان تطلب سارة منها ان تأخذها الى الحمام. فهذا يعيدها لحجمها الطبيعي. لكن هيّا يا اميلي لنتفقد الطابق العلوي. لقد بدأت أحب المكان.»

قالت:«ومن لا يحب منزلاً كهذا، يا لوك؟»

عندما رأيا غرفة النوم الواسعة الوثيرة، وحمام العائلة، كانت إميلي قد أحبت المنزل وليس فقط اعجبت به. قالت:«اتدري، إن ورق الجدران أضاف منظر البيت سحرا وجمالا، ناهيك عن الفرش الوثير. إنه أسلوب تسويقي رائع، ينسيك انك ستتسلم منزلا فارغا إلا من الجدران، وأنك ستكره كل الأثاث الذي اشتريته سابقا. كنا نفعل نفس الشيء في المتجر الذي كنت أعمل فيه، فرقم ستة الذي ترتديه المانيكان سيبدو بنفس الروعة لمن ترتدي قياس اربعة عشر.» وبدا لوك صامتا، عندما كانت إميلي تقف في وسط غرفة النوم الثانية. قالت انها قد تستخدمها كغرفة نومها. وضع يده على كتفها وقادها مجددا لتفقد باقي المنزل.

أحست أنه ربما جرح أو أهين بملاحظتها التي

أبدتها. لكن لماذا؟ وماذا عساها تقول غير ذلك؟ اتفاقهما كان واضحا، وهو من وضعه ووافق عليه كلاهما. حتى لو حلمت انّ الأمور قد تتغير ذات يوم. تنهدت، وتساءلت فيما إذا كانت خطة لوك ستنجح. والغرفة التي دخلاها الآن كانت فوق مرآب السيارة، واسعة ورحبة جدا تصلح كغرفة جلوس. بدا السرير الضخم صغيرا بالنسبة لحجم الغرفة.

قال لوك:«هل نتفقد الحمّام؟»

قادتها لهجته للاعتقاد أنه منزعج من السرير والغرفة كذلك. دخلت إميلي اولا وتأملت الحمام بدهشة وإعجاب. كان الحمام فسيحا ومزودا بخزائن وطاولة، ومغطس وثير. كانت الخزانة وحدها، أكبر من غرفة نوم سارة. إنّ الحمام جعل قلبها يخفق بعنف. ولم يعد بإمكانها التعبير عن إعجابها بهدوء. ما ان دخلته حتى شعرت أنها في غابة، معظم جدران الغرفة كان من الزجاج، ومزودة بمرايا تعكس الضوء، وكان هناك نباتات حول المغطس، الذي يصعد إليه بدرج، وفي إحدى الزوايا الدوش المصنوع من الزجاج، وله مصرفان للمياه بداخله. هذا ما رأته في إحدى المجلات، وتحت تعليق يقول،

يا دكتور مانينغ؟ اتساءل كيف يمكنك ان تفعل ذلك؟»

قال:«أمل ان تطلب سارة منها ان تأخذها الى الحمام. فهذا يعيدها لحجمها الطبيعي. لكن هيّا يا اميلي لنتفقد الطابق العلوي. لقد بدأت أحب المكان.»

قالت:«ومن لا يحب منزلاً كهذا، يا لوك؟»

عندما رأيا غرفة النوم الواسعة الوثيرة، وحمام العائلة، كانت إميلي قد أحبت المنزل وليس فقط اعجبت به. قالت:«اتدري، إن ورق الجدران أضاف منظر البيت سحرا وجمالا، ناهيك عن الفرش الوثير. إنه أسلوب تسويقي رائع، ينسيك انك ستتسلم منزلا فارغا إلا من الجدران، وأنك ستكره كل الأثاث الذي اشتريته سابقا. كنا نفعل نفس الشيء في المتجر الذي كنت أعمل فيه، فرقم ستة الذي ترتديه المانيكان سيبدو بنفس الروعة لمن ترتدي قياس اربعة عشر.» وبدا لوك صامتا، عندما كانت إميلي تقف في وسط غرفة النوم الثانية. قالت انها قد تستخدمها كغرفة نومها. وضع يده على كتفها وقادها مجددا لتفقد باقي المنزل.

أحست أنه ربما جرح أو أهين بملاحظتها التي

أبدتها. لكن لماذا؟ وماذا عساها تقول غير ذلك؟ اتفاقهما كان واضحا، وهو من وضعه ووافق عليه كلاهما. حتى لو حلمت انّ الأمور قد تتغير ذات يوم. تنهدت، وتساءلت فيما إذا كانت خطة لوك ستنجح. والغرفة التي دخلاها الآن كانت فوق مرآب السيارة، واسعة ورحبة جدا تصلح كغرفة جلوس. بدا السرير الضخم صغيرا بالنسبة لحجم الغرفة.

قال لوك:«هل نتفقد الحمّام؟»

قادتها لهجته للاعتقاد أنه منزعج من السرير والغرفة كذلك. دخلت إميلي اولا وتأملت الحمام بدهشة وإعجاب. كان الحمام فسيحا ومزودا بخزائن وطاولة، ومغطس وثير. كانت الخزانة وحدها، أكبر من غرفة نوم سارة. إنّ الحمام جعل قلبها يخفق بعنف. ولم يعد بإمكانها التعبير عن إعجابها بهدوء. ما ان دخلته حتى شعرت أنها في غابة، معظم جدران الغرفة كان من الزجاج، ومزودة بمرايا تعكس الضوء، وكان هناك نباتات حول المغطس، الذي يصعد إليه بدرج، وفي إحدى الزوايا الدوش المصنوع من الزجاج، وله مصرفان للمياه بداخله. هذا ما رأته في إحدى المجلات، وتحت تعليق يقول،

أمنح نفسك نصف ساعة من الإسترخاء داخل المغطس، وليس مثل الذي يوجد في منزلها، حيث كانت تحشر نفسها فيه وبالكاد يتسع لها.

تسمّرت في مكانها بينما كان لوك يتفقد صنابير المياه.

قال لوك:«إنها صناعة ويرل بول، اذا كنت خائفة من سرقتها يمكنك فكها وأخذها معك.»

أراحت نكتته اعصابها قليلا. ستتزوج هذا الرجل وتعيش معه في منزل كهذا، لكن لن يكون قريبا منها كفاية ليشعرها بدفء وحرارة الحب، مجرد زواج صوري، فارغ من العاطفة والرومانسية. قالت معقبة:«أشك انّ ميشال سيرفض ان يستحم في مغطس كهذا.» ثم خرجت ومشت حتى وصلت الى المطبخ. وما ان دخلت حتى اطلقت آهة:«آه، كم هو فسيح؟» كان كل شيء موجود داخل الحائط بترتيب ونظام رائعين. تفقدت الخزائن، الرفوف وكل تفصيل دقيق. نسيت حتى وجود لوك وهو يراقب ما تفعل. لقد أدهشها جمال وترتيب المطبخ، واتساع مساحته.

قال لوك محاولا جذب انتباهها:«انظري الى

هذا؟» كانت فسحة تؤدي الى قاعة الطعام، مزودة ببابين خشبيين، كذلك كراسي وأرائك وثيرة للجلوس عليها، ثم طاولة وأربع كراسي منجدة، تتناسق مع باقي الغرفة وتحتوي على طاولة للعب.

قال وهو يغادر القاعة:«لقد فكر المهندس بكل شيء.»

«نعم. يبدو أنه فكر بكل شيء، حتى أصغر التفاصيل، لكن اتساءل كم سيكلف كل هذا؟»

تناهى إليها صوت سارة يناديها، استدارت إميلي لتجد أماها سارة وميشال يدخلان المطبخ من باب اعتقدت أنه ربما يكون غرفة غسيل والمرآب، كانت اعينهم تشعر بالسعادة ويبتسمان. قالت تخاطبهما:«أين الآنسة وودوارد؟»

قالت سارة:«انها مع زبون آخر. أرادت ان تعطينا ربع دولار لكل واحد منا لنذهب ونجدكما. اليس كذلك يا ميشال؟»

قال ميشال مشيراً الى فتحة في المطبخ تقود الى العديد من الغرف:«انظري الى هذه يا والدتي. هناك العديد من الأبواب، وقد قالت السيدة، انها غرفة المؤونة الخاصة بكبير الخدم.»

كانت تتألف من خزانة كبيرة، مصنوعة من الخشب، ومصممة بشكل جميل ومثبتة في الحائط.

قالت إميلي توجه كلامها الى ميشال:«لن يكون لدينا كبير خدم، ولا حتى خادم واحد. هذا مجرد تعبير يستعمل. لكن على هذه الرفوف الزجاجية العليا يحتفظ الناس بأدوات الكريستال والخزف الصيني الثمين.»

قال ميشال عاقداً جبينه:«شيء محزن. لو كان لدينا كبير خدم، لاهتم بإصلاح دراجتي عندما تتعطل، او تخرج السلسة من مكانها.»

مرر لوك يده بشعر ميشال وقال:«الخدم عادة لا يقومون بأعمال كهذه يا صغيري. من الآن فصاعدا سأقوم انا بإصلاح دراجتك.»

ابتسم ميشال لما سمعه ونضح وجهه بالسعادة وقال:«ستكون أبي أليس كذلك يا دكتور مانينغ؟ مثل كل رفاقي، لديهم آباء.» ثم استدار نحو والدته وقال:«سيكون هذا رائعا كما تقول العمة مادج.»

أدارت إميلي وجهها لتخفي دموعاً تساقطت رغما عنها. وتشاغلت بالنظر الى الخزائن وما بداخلها. حان الوقت لتضع أحلامها جانبا،

وتركز على سعادة الطفلين، اللذين من أجلهما رضيت بزواج كهذا. فتحت ابواب الخزائن وتفقدت داخلها وطريقة ترتيبها. ومن ضمن ما وجدت آلة الخياطة الموضوعة بالداخل.

دخلت مونيكا وودوارد، وقالت:«هذا مصنع الخياطة الخفي لدينا.» ما جعل إميلي تجفل مجددا لدخولها المفاجىء. وأضافت:«يمكنك يا سيدتي استعمال الخزانة لأي غرض تريدين. إنها متعددة الإستعمالات. لكن للأسف لم يعد أحد يخيّط هذه الأيام.»

قالت إميلي:«انا أخيط ملابسي، وملابس اولادي. وهذه الآلة ستكون ذات نفع كبير لي.»

استاءت إميلي من ان هذه البائعة تجهل ما تبيعه. فهذا المنزل ليس أي منزل. هذا منزل عائلة بكل معنى الكلمة. إنه منزل يربى فيه الأولاد، مكان يتجذر فيه الإنسان، ويقود حياة سعيدة ناعمة بعيداً عن هموم الدنيا. إنه منزل يعيش فيه المرء ويشيخ ويموت. ويربي أحفاده، ويعتني بحديقته ويستقبل زواره ويفتخر بكونه يملك منزلا كهذا. منزل تتجمع فيه العائلة كلها في المناسبات لتحتفل به. اضافت إميلي:«على الأقل كنت أخيط فيما مضى عندما كان يتوفر

لي الوقت. هيا يا أولاد. حان موعد المغادرة.
قالت مونيكا يمكنكما المغادرة من المرآب، حيث تقع غرفة المكتب. والذي يتسع لسيارتين، مع فسحة كافية لمشغل كامل إذا شئتما. ولقد اضفنا غرفتين وحمام عند نهاية المرآب، لمن يريد ذلك. لكن البيت العادي لا يتضمن هذه المساحة. بالنسبة للموقد، وجودها في قاعة الجلوس من ضمن الشروط، لكن تلك الموجودة في غرفة العائلة، وفي الغرفة الأساسية هي اختياري لمن يريد. وفرش الأرض بالسجاد اختياري وليس من ضمن شروط العقد. اما الحمام الأساسي ضمن شروط العقد، لكن التمديدات والنوعية قد تتبدل إذا ما رغب الزبون، وبالطبع قد يدفع مبالغ إضافية لقاء تحسين نوعيتها. وخزائن المطبخ، صنعت حسب مواصفات خاصة، وبالطبع ليست موجودة الا عند الطلب.»
قالت اميلي:«وماذا ا يضاً الإختياري. أوه الهواء طبعا هو مجاني.» ألم يكن الرجل يسمع؟ ألم يفهم اللعبة؟ إنه نموذج العرض يكون على درجة عالية من الفخامة، لكنه الأعلى سعرا. اولا يجعلونك تعجب بما ترى، ثم يبدأون

بانتزاع الإضافات الواحدة تلو الأخرى، لتترك فيما بعد بقوقعة فارغة، وقد تخفي هذه ا لروعة الكثير من المساوىء التي لا تظهر للعين على الفور، ولا يعرفها إلا بعد أن يسكن في المنزل.
شعرت بقشعريرة تجتاحها، فوضعت يدها على ذراعه وقالت:«لوك لنذهب. لقد وعدتنا بالغداء.»
كان الأولاد يتفحصون البلاط داخل المرآب. وقد بدت سارة متعبة من اللعب بأبواب خزائن المطبخ، وكل إغلاق يصدر صوتا عاليا جعل مونيكا ترتعد لكل صوت.
ابتسمت مندوبة المبيعات وقالت وهي تسلم لوك بطاقتها:«يبدو ان خطيبتك متعبة يا سيد مانينغ. ربما تحب ان تمر في وقت لاحق، من دون الأولاد، حيث يمكننا مناقشة التفاصيل بهدوء. نداوة في المكتب حتى الساعة السادسة مساءً.»
قال مانينغ مصححاً كلامها:«الدكتور مانينغ.» ثم أخذ البطاقة:«شكرا لك. سنفعل ذلك. هيّا يا أولاد، انتهى البحث عن منازل اليوم. الهمبرغر والبطاطا المقلية والحليب المخفوق بانتظاركم.»
كانت إميلي لازالت مقطبة الوجه، عندما جلسوا

في السيارة. قالت:«لن نعود إليها بالتأكيد لوك؟ اعني ما الفائدة؟ إضافة الى أننا يجب ننتظر للانتهاء من بناء المنزل. وإذا حاولنا إضافة ربع الخيارات سيكلفنا ذلك ثروة. أفضل ان ننسى الأمر كليا.»

قال وقد انعطف بالسيارة في المنحنى:« لقد أحببته، وكذلك أنت، وأحببت الأثاث الذي يوجد فيه. اغراضي كلها حديثة وقد اشتريتها في ليلة واحدة، ولم أهتم بشكلها، طالما هي مريحة. ما هو التعبير استعملته لوصف الأثاث الذي رأيناه، انه جزء منك.»

قالت إميلي:«إنه صرعة جديدة لموديل قديم. اعتقد انه يسمى الثمين القديم. وأوافق معك أنه جميل. يوما ما سأملأ منزلي بأثاث مثله، عندما اصبح ثرية. لكن حاليا اثاث منزلي هو صفقات من بازارات متعددة ومعظمه مستعمل. »

قال لوك:«اعتقدت انك احببته، وهو يذكرني بك.»

قالت:«أحقاً؟ هل تقول أني ثمينة؟»

اومأ برأسه نافيا وقال:«كلا، لم اقصد بهذا المعنى. الأثاث بدا دافئا، عائليا. لا أدري إن كانت هذه هي الكلمة المناسبة. لكن تعلمين ما

أقصده. بدوت فاتنة في ذلك المنزل وسعيدة.»

اعتقدت ان الأمر خرج عن حده فقالت:«أوافق معك أنه منزل جميل، لكن الأمر غير وارد يا لوك.»

قال ميشال:«لماذا؟»

اجابت إميلي:«اجلس واسكت يا ميشال.»

كانت الأمور تسير بخطى متسارعة منذ ان وافقت على الزواج. ولوك يعدها بحلم مستحيل.

قال لوك مردداً نفس السؤال:« نعم، لماذا يا إميلي؟»توقف امام المطعم الذي يقدم وجبات سريعة، ثم أضاف:«إذا كان السعر هو الذي يضايقك لا تقلقي بخصوصه. فأنا وريث أهلي الوحيد. ولم أعش حياة بذخ. ودخلي محترم. وإذا أضفنا إليه ما امتلكه في المدينة لن يشكل الأمر أي عبء عليّ.»

انتظرت حتى جلس الأولاد، ووقفت هي ولوك بالصف وقالت بما يشبه الهمس:«لا يبدو الأمر صائبا يا لوك. لقد رفضت ان أشارك في دفع الثمن، وطلبت مني ان أودع المال في المصرف، من أجل تعليم سارة وميشال. وتبدو الآن وكأنك تريد بناء منزل ضخم. انا أحصل على

كل المغانم، وأنت لاتحصل على شيء. هذا ليس عدلا لوك. لا أدري ان كنت استطيع ان أتحمل هذا.»

قال:«بالطبع تستطيعين.» انحنى وقبل خدها. كم تحب قبلته تلك. تمنت لو وانتها الشجاعة لتستدير، وتسقط القبلة على شفتهيا بدلا من خدها.

أضاف:«انت مخطئة يا إميلي. المنزل الذي سنعيش فيه لا شيء، مهما كان المنزل الذي سنشتريه، انه مجرد حجارة. فإذا تبين أنه حاز على إعجابنا ورضانا، وجعلنا سعداء فهذا رائع. لكن لا تحاولي مقارنة المنزل، بك وبسارة وميشال، بعائلتي الجديدة. صدقيني يا إميلي، انا من سيحصل على الغنيمة الأكثر ثراء، والجزء الأهم من الصفقة. و كما أرى الأمر، انا الرجل الأسعد حظا في العام كله.» أدارها ناحيته وضمها إليه بقوة.

ظهر هنا الخطر الفادح. لقد اغرمت فعلاً بالخطيب، والصديق والزوج المستقبلي لوك مانينغ.

* * *

وقف لوك في القاعة الرئيسية، التي كانت مضاءة بنور طبيعي، بينما كانت مونيكا وودوارد تجلس، وتقوم بإجراء الحسابات. تخيل لوك نفسه مستلقيا على السرير يضم إميلي بين ذراعيه، ثم رمش بعينيه. زالت الرؤية ولم يزل الحلم. تذكر الإتفاق، بأن يتمهل في علاقته مع إميلي. لكن هذا لا يعني ألا يقدم لها هدية زواج قيمة.

قال لوك:«ماذا تقصدين بالضبط بعبارة مفروشة بالكامل.»

قالت مونيكا:«بما اننا نتكلم عن هذا النموذج يا دكتور مانينغ، وأنت تريد شراءه، والذي سنسمح به لأن مبيعات البيوت الفخمة تعرف كسادا هذه الأيام، كلمة مفروشة تعني ان يبقى كل شيء على حاله. والسعر الذي قدمته لك يتضمن كل ما تراه او رأيته سابقا، المواقد، المطبخ، الخزائن، الشواية، الغرف الإضافية، التي تقول انك سوف تستعملها كمكاتب او عيادات. كل شيء باستثناء الأثاث وأغطية الأثاث.»

تقدم لوك نحو المطبخ، وتذكر فرحة إميلي وهي تتفقد كل شيء داخل الخزائن. وتصور الحلوى

التي قد تصنعها. بني هذا المنزل ليكون منزل إميلي. كان هو يعرف وهي تعرف ذلك لحظة دخلا عتبة المنزل. كان الثمن مرتفعا جدا، لكن أقل مما توقعه. ان كانت اميلي موجودة، عندما لفظت مونيكا الرقم النهائي، لكان امتقع لونها، او حتى أغمي عليها. كم من المنازل سيشتري المرء في حياته؟ كان منزل المدينة اول خياراته. ومع أنه استمتع بالعيش هناك، لم يكن اكثر من مكان للنوم. وإلا كيف سيفسر العيش لمدة سبع سنوات من دون ان يتعرف على مادج سنكلير، او يقابلها. لكن هذا كان منزلا حقيقيا. فيه يشعر المرء وكأنه ملك في قصره. والملاذ الأمين من متاعب المستشفى ومسؤولياته. حيث تنتظره كل مساء عائلته الرائعة إميلي وسارة وميشال. هنأ لوك نفسه على هذا الصيد الثمين، كان يستطيع ان يرى التغيير في حياة سارة وميشال، والتردد في عيني إميلي، حول مستقبلهما. لم يكن يحب إميلي كورنيل. كان الوقت مبكراً لذلك. كان معجبا بها، ويستلطفها، وقد بدأ يرغب بها. كل هذه كانت تقود للنتيجة الحتمية. اميلي كورنيل امرأة جذابة، قد لا يكون الزواج دافعه الأساسي الحب. لكن قريبا

جداً سيصبح زواجاً حقيقياً بكل ما للكلمة من معنى. قد يأتي الحب بأشكال مختلفة. الوقت وحده هو من يقرر.

استدار عائدا وهو يقول:«سألتك يا آنسة وودوارد عن تكلفة الأثاث كما هو. لما لا تضعين الأرقام وتعطيني المجموع النهائي، لننهي الأمر سريعا من دون تعقيدات إضافية.»

الفصل السابع

قالت إميلي:«لا أصدق ان بيتك قد بيع. متى سينتقل آل مايرز؟ ميشال إجلس هادئاً. كدت انتهي.»

اجاب لوك:«خلال شهر تقريباً. يريدون الانتقال قبل بدء المدرسة.» وجلس في كرسيه المعتاد في مطبخ إميلي الصغير، يراقب ببعض الشغف اميلي وهي تقص شعر ميشال خلف أذنه.

كان مطبخ أميلي مريحا اكثر من مطبخه، وغرفة جلوسه.

بدا لوك مرتاحاً في جلسته بعد يوم طويل امضياه في المستشفى. وكانت أميلي ترتدي ثيابا للطقس الدافيء، بلوزة زرقاء وبيضاء، شورت أبيض. البلوزة والشورت يظهران بعض مفاتن جسمها وساقيها.

كان يجب ان تكون على شاطيء البحر بدل ان تكون في المطبخ تقص شعر الصغير ميشال. ثم تذكر ان بإمكانهما الذهاب الى شاطيء البحر في جيرسي في شهر عسلهما. لكن سرعان ما تبخرت الفكرة عندما ادرك نوعية

زواجهما، وأنه لن يكون هناك شهر عسل، ليس هناك مظاهر محبين بل علاقة صداقة. ابتسم لوك ابتسامة خبيثة، انه لا يريد ان يأخذ ولديها الى الشاطيء، فقط هو وأميلي بمفردهما والتعرف على بعضهما اكثر، والتحرك والتصرف اكثر مما تمليه الصداقة والإعجاب السطحي، والاحترام المتبادل، الى ماذا... الشوق؟ العاطفة؟ الحب؟

قال ميشال:«والدتي انت تشدين شعري. لقد آلمتني.»

اجابت إميلي:«كلا يا عزيزي، لم أشد شعرك. لكن إذا اردت ان أريك كيف يكون شد الشعر سأريك الفرق، وما عليك إلا ان تطلب مني ذلك، وساكون مسرورة لألبي طلبك.»

اجاب ميشال:«كلا، شكرا.»

تبادل لوك وإميلي الابتسام على النكتة، مثل كل الآباء بشكل عام. يتفاهمان من دون كلام. هذا الصمت الذي ساد بينهما كان معبرا مثل الكلام.

نظر نحو الولد الذي سيصبح عما قريب والده بالتبني، وزوج أمه، وقد لفته أمه بستارة قديمة احتفظت بها لهذا الغرض. كان لوك قد عرض

عليها ان يأخذه الى احد احلاقين المحليين ليقص شعره.

لكن إميلي رفضت بتهذيب، وقالت إنه أمر سخيف ان تدفع نقودا لقص شعر ميشال وسارة، بينما هي تقوم بذلك دون مقابل منذ ولادتهما. ثم اضافت:«يجب ان تشكرني، لأني أوفر لك المال إذا اشتريت ذلك المنزل، وعليك ان تمتدح موهبتي في توفير المال.»

لم يكلف نفسه عناء إخبارها إنه اشترى المنزل بمبلغ يسيل له اللعاب، وأنّ قصة الشعر لن تكون السبب في إفلاسه. فقد اخبرها شيئا فشيئا انه قد اشترى المنزل بما فيه. وبالطبع افرحها الأمر وأحزنها. افرحها لأنها ستسكن في بيت احلامها، وأحزنها لأنه وضع مبلغا باهظا ثمنا له، من دون ان يأخذ رأيها. فهي امرأة راشدة، ومن حقها عليه ان يستشيرها في أمر كهذا.

اكتشف مؤخرا انها تحب الاستقلالية، وليست ضعيفة الشخصية رغم أن مظهرها لا يوحي بذلك. لقد تحمل منها محاضرة طويلة حول ما تعتقده حقها في المشاركة بالرأي واتخاذ القرار، وأنها امرأة عصامية، مستقلة الرأي

والتفكير والتصرف، ويجب ألا يستغل كونها امرأة للتفرد باتخذ القرارات. بعد هذا كله لن ينسى ما قالته لأمد طويل.

ولتأكيد موقفها، طلبت موعدا من الآنسة مونيكا وودوارد، وراحت تتفحص كل شيء بدقة متناهية، وحسبت كل جزء على حدة، وحسبت سعره، فإما تبقيه او تستثنيه وتطلب رفعه من المنزل. ومونيكا تجري خلفها وتدون الملاحظات. كان جميلا ان تعيد النظر بالمنزل، لأنها وفرت عدة آلاف من الدولارات.

قال لوك:«هل ذهبت الى المنزل الجديد يا جنرال كورنيل؟ لقد سمعت ان الآنسة وودوارد قد طلبت نقلها الى مكتب هيوستون.» وهو يلعب بأساريره وجهه من باب الفكاهة، ليسلي ميشال كي يتحمل ما كانت تفعله والدته به.

قالت تجيبه وهي تومىء برأسها موافقة:«الأمر ليس مضحكا. ذهبت الى هناك، وتخلصنا من كل الاشياء المستأجرة من المحلات، خصوصا الخزف الصيني، والبيانو المعطل. لا اصدق ان البيانو كان مجرد هيكل فارغ. بدا وكأنه حقيقي. معظم ما رأيناه كان مجرد نموذج. ولقد رفضته وشطبت ثمنه وطلبت إعادة المال.»

ما ان انتهت من ميشال، حتى اقترب لوك منه، ورفعه عن الكرسي وقال:«ها انت أيها النمر بقصة مثيرة. تبدو وسيما. وها أنا أرى أذنيك مجدداً.» ربت على خده.

بينما كان يحاول الخروج، امسكته والدته من كتفيه وأعادته قائلة:«ادخل وبدّل قميصك.

حاول لوك رفع الكرسي فأعادتها للزاوية، أمسكت إميلي به وقالت:«أجلس، فأنت التالي، سأقص لك شعرك.»

حدق بها وقال:«انا؟ لا اعتقد ذلك.» وحول نظره نحو الكرسي والستارة، والمقص الذي اخذت تطقطق به أمام وجهه وأنفه.

قالت:«ولكني اعتقد ذلك. ما بك ألا تثق بي؟» ابتسمت له مشجعة وأضافت:«أقص الشعر منذ سنوات، ولم أرق نقطة دم واحدة حتى الآن.» لكنه لم يجلس على الكرسي.

قال معقبا:«تبدين شديدة الظرف عندما تبدين شديدة الخطورة. لكن اعتقد اني سأتجاوز الأمر.»

انحنى وقبلها على خدها.

اعترض ميشال وقال:«دكتور مانينغ كيف تفعل هذا؟»

التفت كلاهما نحو الصبي. قال لوك:«افعل ماذا يا ميشال؟»

أجاب ميشال:«لماذا تقبل أمي هكذا؟ قلت انك ستتزوجها والمتزوجون في التلفاز لا يقبلون زوجاتهم هكذا. لا أحد في المسلسل الذي نشاهده عند العمة مادج يقبل زوجته هكذا؟»

تناولت إميلي الستارة وبدأت في طيها ونسيت انها كانت بصدد قص شعر لوك. يبدو ان سؤال ميشال قد أحرجها. حتى لوك لم يكن مرتاحا من سؤال الصبي. انحنى عليه وأمسك بذراعه وقال:«لا أشاهد التلفاز كثيرا هذه الأيام. ربما تعلمني كيف يقبل هؤلاء الناس بعضهم بعضا؟»

قال ميشال:«تطول القبلة كثيراً، وأحياناً تتنهد العمة مادج، وكأنها تعتقد ان القبلة جميلة او شيء من هذا. سارة تعتقد أنها مضحكة، أما انا فأعتقد انها مقرفة.»

رمق لوك إميلي بنظرة جانبية فرآها منشغلة بوضع الكرسي بالزاوية. قال:«اتريدين هذه أم تدعيني أتدبر الأمر؟»

رفعت يديها وقالت:«الأمر يعود لك يا دكتور.» وتناولت كوبا من الماء وتشاغلت بشربه ثم

أضافت:«لن اتدخل بحديث رجل لرجل.»
قال:«عظيم. متى يشاهد الأولاد مناظر كهذه. ظننت انهم يشاهدون أفلام الكرتون.» ثم وجه الكلام الى ميشال قائلا:«متى بدأت تشاهد هذه الأفلام والمسلسلات الرومانسية؟»
قال ميشال:«عندما بدأنا نذهب الى منزل العمة مادج. نحن نشاهدها فقط إذا امطرت السماء، او كان الطقس باردا جدا. يفترض بنا ان نشرب الحليب وناكل الكعك والبسكويت، لكن إذا انتهينا مبكرا نعود وننضم إليها ونشاهد ما تشاهد. العمة مادج تحب مشاهدة المسلسل الذي يعرض اثناء عودتي من المدرسة، ولا تفوته ابدا. احد الرجال في المسلسل جاسوس وهو يغني احيانا. وهناك تلك السيدة التي تختبىء احيانا داخل الخزانة. إنه مسلسل نظيف ما عدا باستثناء مشاهد التقبيل. وبعد انتهائه نشاهد الكرتون.»
قال لوك:«عجائب التسعينات في التلفزيون. وماذا عن الكتب الجيدة؟ لكني سأوفر هذا السؤال لمرحلة لاحقة. تريد ان تعرف المزيد عن التقبيل أيها النمر. أليس كذلك؟»
اومأ ميشال برأسه موافقا وقال:«تحدثت مع

سارة، نعتقد انك يجب ان تقبلها وتضمها إذا كنتما ستتزوجان أليس كذلك؟» نظر نحو أمه وقال:«أنا وسارة نريد ذلك.»
قال لوك:«فهمت. انت قلق أيها النمر أليس كذلك. قلق ألا نتزوج الشهر القادم، انا وأمك.»
اومأ ميشال برأسه للمرة الثانية وقال:«اشترينا منزلا جديدا. واشترت لي والدتي بذلة جديدة لأرتديها اثناء حفلة الزفاف ولكن...»
قال لوك:«تريدنا ان نعانق بعضنا؟»
اجاب ميشال:«نعم اعتقد هذا، سارة تقول يجب ان تضمها، العم جيم والعمة مادج يفعلان ذلك عندما يعود من العمل، يناديا بعضهما بأسماء تحبب ودلع.»
قال لوك:«اعتقد ان هذا ممكن.» وتساءل ماذا ينادي جيم سنكلير مادج عندما يريد تدليلها. او ربما لا يريد ان يعرف.
تقدم نحوها وقال:«ماذا يقول لها يا حبيبتي؟»
علت حمرة الخجل وجه إميلي وقالت:«هذا سخيف، ميشال لقد جعلت من نفسك اضحوكة. ولسوف ارتكب جريمة بمادج.»
علم لوك ان إميلي متوترة، وهو متوتر كذلك. لقد جاء هذا المساء ليتحدث عن موعد إستلام المنزل

الجديد النهائي وليس سماع حديث إبن ست سنوات يحاضر عن الحب والعناق. كان يحاول إيجاد عذر ليقبل إميلي، ومسألة المنزل لم تكن الدافع الوحيد التي جاء من أجلها. بل يكمن في جيبه وهو بشوق ليعطيها إياه.. لقد وافقت إميلي على الزواج لمصلحة، لكنه بدأ ينظر إليها كزوجة مثلما هي أم. فكيف يعبر لها عن تغيير موقفه هذا؟ بإرسال الزهور؟

قال:«ميشال أين اختك سارة؟»

«إنها في الأعلى تلعب بألعابها. هل تريد ان تضمها يا دكتور مانينغ؟ هل ستفعل؟»

علا صوت إميلي:«ميشال...»

قال لوك:«إصعد الى فوق، وأمهلنا عشر دقائق لوحدنا. وبعد ذلك سنرى ان كنا نستطيع إقناعك إن كنا سنتزوج حقا.»

ما ان صعد ميشال حتى بادرت اميلي بالهجوم وقالت:«لا أصدق هذا. تريد ان تقبلني لأن ميشال رأى ذلك على التلفاز؟»

قال:«وأضمك يا إميلي يا حبيبتي، سيجعل هذا الأولاد يطمئنون. إضافة الى أننا محظوظون. ميشال يحتاج لتأكيد، والأمور تجري بسرعة.» تقدم منها ووضع يديه ليمنعها من الحركة.

فأخذت ترتجف. أردف:«اميلي انا متوتر مثلك. لقد سارت الأحداث بسرعة لم اتوقعها. علينا ان نتمرن قبل حضور الأولاد.»

قالت:«نتمرّن؟ تعني ان نتمرن على التقبيل؟ لماذا؟ كنت متزوجة، وأنت كنت خاطبا، ونحن راشدان وكلانا قبل أشخاصا من قبل.»

لف يديه حول خصرها، وجذبها بقوة إليه، وضعت يديها على ذراعيه وأمسكت به لتوازن نفسها. تنشقت رائحة الصابون مجددا. فعلمت ان عاطفته تغلبت عليه، والعاطفة التي قال انها ماتت فيه، قد تحركت مجددا.

قال:«إميلي يجب ان نتحدث. كنت أفكر...»

دفعته عنها وقالت:«كنت اعلم أنه لن ينجح الأمر. العائلة التي تريدها شيء، لكن البقاء حرا شيء آخر. أنت رجل صغير في العمر. كان يجب ان تبحث عن امرأة تحبها ومن ثم تتقدم للزواج منها لتنجب اطفالك. كنت انا هنا متوفرة وجاهزة. امرأة وأولاد وأسرة. كان لدي كل ما أريده حتى الوظيفة. وكنت راضية ومقتنعة بحياتي. كنت اتساءل ان كنت قادرة على شراء غسالة جديدة. والحب كان آخر شيء أردته، عندما قابلتك. لقد صدمت منذ سنتين.»

استدارت وأخذت تنظر من النافذة. «يمكنك ان تغادر يا لوك، سأحاول تفسير الأمر للأولاد.»
وضع يديه على كتفيها، سمعته يضحك، أدارها لتواجهه وقال: «كم تقفزين للنتائج بسرعة يا حبيبتي؟ منذ متى وأنت قلقة، أني قد أغير رأيي؟ لقد تحدثت عن المنافع التي تحظين بها من زواجنا. اما زلت تعتقدين انك ستفوزين بأفضل جزء منه الصفقة وانني اخدع نفسي؟ اتظنين ان الوقت لا زال مبكرا بعد موت مارك؟»
اجابت: «وما دخل مارك بهذا؟ اعتقدت انك غيرت رأيك. وأنك ستؤجل الزواج. لوك، انا ضائعة. عما نتحدث، ارجوك.»
مرة اخرى يذكر إسم مارك وتحاول تجاهل الموضوع؟ ايمكن لأنها كانت تحبه لدرجة أن مجرد ذكر إسمه يؤلمها. لكنه قال: «لا اريد تأجيل الزواج يا إميلي.»
قالت: «لا تريد؟»
قال: «كلا، لا اريد، بل العكس هو الصحيح. لم اعط هذا الزواج حقه من التفكير والتقدير. لكن عندما كنا نطوف بالبيت، واخترت غرفة النوم، لم أرتح للأمر في البداية، لأننا اتفقنا ان نسير ببطء. إميلي أريد ان اتخلص من القيود التي

فرضتها على نفسي وعليك. اريد زواجاً حقيقياً من البداية.»
اتسعت عينيها وقالت: «لكن ماذا عن اتفاقنا؟»
استدار وبدا مغتاظا من نفسه وقال: «آسف يا إميلي. عندما أفكر بما قلته يداخلني الندم. لقد كنت أنانياً جداً، وطلبت ما لا يجوز ان اطلبه.»
قالت: «كلا يا لوك. طلبت ما كنت تريده، انت رجل طبيعي. إنما الاتفاق كان غير طبيعي. الزواج الافلاطوني ليس موجودا إلا في الخيال. مثل المسلسل الذي تراه مادج. فهو لا يحتوي علاقة افلاطونية.»
نظر الى عينيها البنيتين، ورأى فيها اجمل امرأة في الوجود والأكثر جاذبية. لقد كان يستطيع الاعتراف لها بحبه. لكن كان الأمر مبكرا، او ربما فات الأوان.
قال: «إذن انت تفسخين الاتفاق؟»
«كلا، لا استطيع ذلك. لقد سألني ميشال إذا ما كنا سنتزوج. بالنسبة للأولاد إنه مشروع حقيقي وقائم. لكني أريد بعض الوقت لأعتاد على الفكر الجديدة من أجلنا. ربما لو حاولت التودد إلي والتغزل بي لبعض الوقت. القليل

من المغازلة، إذا لم تعتقد أني سخيفة.»
قال:«أغازلك؟»
اجابت:«نعم يا لوك، تغازلني. اريدك ان تغازلني، اعلم نه موضة قديمة، لكني أحب المغازلة.» رددها مجددا:«أغازلك؟»
بعد الاتفاق على الزواج، العودة الى المغازلة، الى الوراء.»
قال:«تعنين مواعدتك، واصطحابك للعشاء والرقص وما إلى ذلك؟»
قالت ضاحكة:«وتشتري لي الزهور، وتناديني بأسماء دلع.» اضافت:«قد تحب المرأة بيتا كبيرا، وأثاثا جميلا، واستقرارا ماديا، لكن تفضل الحب على كل هذه الاشياء.»
قال:«وهو يفضل ذلك ايضا. لدينا ثلاثة أسابيع قبل الزواج، سيكون الموعد قريبا، لكن نستطيع ان نعوض ما فاتنا خلال هذه الفترة.» وسحب من جيبه علبة مجوهرات صغيرة كاد ينساها وقال:«ربما علينا ان نبدأ بهذا.» فتح العلبة وقدمه لها. كانت تحوي خاتما ثمينا جدا من الألماس الماركيزي بإطار من ذهب. أضاف:«قد يكون من نفس مقاس اصبعك، لكن الصائغ قال انه سيعدل به إذا احتاج

إلى ذلك عندما نذهب لاختيار خواتم الزواج.» انحنت فوق علبة المجوهرات. مدت يدها ووددت لو اختطفتها، لكنها وقفت تحدق به من دون ان تقول شيئا. لم يخطط لشراء خاتم خطوبة، وهي لا زالت ترتدي خاتم زواجها الذهبي السابق. وقد اقلقه هذا الأمر، لذا قرر شراء خاتم واستبداله به.
قالت:«لا أعلم. اعني لقد فكرت بالأمر. إنه لأمر طبيعي للمرأة ان تفكر فيه. وتتساءل ما إذا كان الرجل الذي ستتزوجه يرضى بوضع الخاتم في اصبعه، ويعلن زواجه على الملأ. اسمع يا لوك هل تخطط لأن تضع الخاتم في اصبعك، خاتم الزواج.» كانت لا تزال تنظر الى الخاتم الثمين.
أجاب:«في كل مكان إلا في غرفة العمليات، يا إميلي. وأعتقد انك فهمتني جيدا. انا رجل محافظ على التقاليد، ولطالما كنت كذلك، وهذا ينطبق على حبي وشوقي للعائلة ولزوجة.» ثم اخرج الخاتم من علبته ووضعه في راحة يدها وقال:«رأيت العديد من الخواتم. لكن هذا ترك فيّ انطباعا ذكرني بك. هل أعجبك؟»
نظرت إليه، كانت عيناها تلمع بالدموع. دموع

الفرح، قالت:«اعجبني، أوه يا لوك، احببته، إنه أجمل شيء رأيته حتى الآن. شكرا لك. شكرا جزيلا.»

حركت فرحتها عواطف عميقة دافئة، وشعر بسعادة لأنه أسعد إميلي.

أحب ان يرى وجهها طافحاً بالسعادة. شعر أنّ هدفه بالحياة يتلخص في إسعادها، تلك اللحظة كانت رائعة.

فجأة تعقد الموقف. كان يريد ان يضع الخاتم في اصبعها، لكن لم يجرؤ على الطلب منها ان تنزع خاتم زواجها السابق، خاتم مارك. ربما كانت تريد ان تقوم بذلك بنفسها لتتخلص من آخر ذكريات زواجها السابق، وهذا يعني وضع الماضي وراء ظهرها والنظر للمستقبل، مستقبلهما.

اعادت الخاتم الى العلبة. لم يستطع إظهار خيبة أمله.

قالت:«اعتقد ان الأولاد سيأتون الآن عما قريب.»

وضعت علبة الخاتم في جيب سروال الشورت الذي ترتديه، وأضافت بصوت خافت:«لقد ذكرت شيئاً عن التمرين؟»

اغتصب ابتسامة ووضع ذراعيه حول خصرها،

فوضعت يديها حول ذراعيه، وابتسمت له.

قال:«نعم، اعتقد أني ذكرت شيئا مثل هذا.»

وغابا معا في عناق طويل. ثم سمعت صوت ميشال يأتي من خلفها:«حسنا يا والدتي. هكذا يكون الحب.»

ابتعدت اميلي عن لوك، وتظاهرت ان لديها شيء في الأسفل لتضع الملابس في الغسالة.

تركت لوك يتساءل فيما إذا كان قد نجح في تمثيل دور المحب.

بعد ان خلد الولدان للنوم، تذكرت إميلي ما حصل بينها وبين لوك. تقدمت نحو النافذة ونظرت الى الخارج.

حين قبلت لوك احست بتقلص في المعدة، وتشنج اعصاب، وقلب يخفق بسرعة وخفة كأنها تطير في الهواء. اغلقت عينيها وهي تستعيد تلك اللحظات، قبل ان يظهر الولدان ويقطعا تلك اللحظات السعيدة. لقد هربت واختبأت في الطابق السفلي لمدة خمس دقائق كاملة، قبل ان تنضم إليهم مجددا في غرفة الجلوس. جلست سارة قريبة جدا من والدتها، وكأنها تريد ان تحرسها من لوك لئلا يقترب منها.

لم تدر إميلي ماذا كانت تتوقع عندما اقترب

لوك منها ليقبلها. ما جعلها ترتجف وتبقى بعد ذلك لفترة غير متمالكة لنفسها، ولهذا اختفت في الطابق الأرضي كل ذلك الوقت.

كان مارك اول من قبلها، لكن قبلته لم يكن فيها توق وحب، وشرارة كهربائية ينتفض الجسم لها بكامله. ان المقارنة بين الرجلين كالمقارنة بين سيارة الروز رويس، وسيارة صغيرة حقيرة. فعدا عن الإطارات الأربعة لا شيء يجمع بينهما. حدقت بالعلبة التي تحوي الخاتم. لم تكن مستعدة لارتدائه ونزع خاتم مارك. الخاتم لن يخرج من اصبعها بسهولة، ولا بد ان تذهب للصائغ ليقصه، وتحتفظ بثمنه للأولاد.

هذا ما تدين به لمارك لكنها لا تريد التفكير بمارك الآن. مارك هو جزء من ماضيها. انها تريد التفكير بلوك، وبالقبلة الحارة التي تبادلاها. بالإضافة الى الحب الذي شعرت به تجاه لوك، كان رجلاً وسيما، وجذاباً تتمناه أي امرأة.

عندما قبلت بشروطه المرة الأولى، كانت تأمل ان يتحول الزواج الصوري لزواج فعلي وحب متين، يربطهما. والآن تحقق ما تمنته وأبدى رغبة صادقة بها. أعلن ذلك صراحة. أليس ذلك مذهلاً؟ بالطبع كان مذهلاً. إذا أبدى رغبة

بها، هل سيتأخر الحب عن ذلك. وانسلت تحت الغطاء، ووضعت يدها على فمها تحبس ضحكة كادت تفلت نفسها.

الفصل الثامن

لم يشعر لوك بالتوتر هكذا منذ زمن بعيد! لا يتذكر حتى متى شعر بالتوتر هكذا. وعند الإشارة المتفق عليها من قبل عازف الأورغ مشى من الغرفة الجانبية الى حيث رجل الدين ووقف هناك أمامه، وياقة قميصه الأبيض العالية تشد على عنقه.

كان قلبه يخفق بعنف، وقبضتا يديه متشنجتان، ينتظر ان تخرج عروسه وتسير في الممر وأمامها سارة. كان ميشال يقف الى جانبه ويضع يديه في جيوبه، يتحرك الى الأمام وإلى الخلف على عقبيه، ويرفع رأسه ليرى الضيوف. لم يكن هناك العديد. فلا هو ولا اميلي لديهما الكثير من الأقارب والاصدقاء. والقلة التي جاءت لحضور المراسم لا تستوجب اصلا الاحتفال بمراسم الزواج في قاعة البلدية. ثم انها قد مدت بخشب الماهوغاني الثمين، والقماش الغالي الثمن.

كان هناك نافذة زجاجية مزخرفة بنقوش ناعمة لتحجب الرؤيا، في الأمام صف من حاملات

الشموع النحاسية، والشموع البيضاء كلها مضاءة.

احتفلا بالزواج في هذه القاعة، وفي هذا الوقت عند الغروب، يدل على متانة العلاقة والرباط القوي الذي يجمع العروسين للأحسن او للأسوأ، ولن يفرقهما إلا الموت.

قال ميشال:«اعتقدت انك قلت ان أمي ستكون التالية، لكنها لم تظهر بعد. ترى من يكون هذين؟» ودفع بيده الى كوع لوك، بينما كان ثنائي يدخل الكنيسة للتو. وأضاف:«واو، هل هو ممثل سينمائي؟»

لم يكن لوك بحاجة لينظر ليعرف من هما القادمان رجل واحد فقط يمكن ان يحدث مثل هذا التأثير في الغلام. ماكس رافرتي، حضر الى القاعة. مع ماكس كان الأمر طبيعيا، فطبيعته، ودماثته، وشكله المحبب، ووسامته، لا يمكن إلا ان تلفت الانظار إليه. وبوجود جوليا الفاتنة تشبك ذراعها بذراعه، كان الأمر اكثر لفتا للأنظار.

لقد اخبر لوك اميلي الحقيقة عندما اعترف لها أنه يتبادل الرسائل والبطاقات مع جوليا وماكس، رغم أنه لم يرها صورة سين. وتبادلا

الإتصالات الهاتفية من حين لآخر، خصوصاً عندما كانت جوليا حامل بسين. وكان ماكس يطمئن لوك ان حمل جوليا يسير بشكل طبيعي، مع انه كان يتضايق احيانا مما يسمعه، ويتمنى لو كان هو مكانه، لو لم يعد ماكس فجأة لعادت جوليا إليه مجدداً منذ سنتين.

ربما ولادة سين هو الذي دفعه للتفكير بإنشاء عائلة خاصة به. أيمكن أن تكون سعادة جوليا وماكس هي التي دفعته للتقرب من إميلي؟ وأنه هو الآخر يستحق بعض السعادة؟ وجه لوك نظره إليهما، فلوحت له جوليا بيدها، وابتسمت له.

قادها ماكس إلى احد المقاعد الخشبية. كانت أجمل مما يتذكر لوك. سنتان من الزواج السعيد انعكست على اساريرها، والأمومة زادتها جمالا وخففت من صرامة المظهر التي حاولت ان تبدو به بعد انهيار علاقتها مع ماكس، والحائط المعنوي الذي أقامته حول شخصيتها، لانها لم تكن قد تجاوزت عقدة الخسارة بعد.

غازل لوك جوليا بهدوء وثبات محاولاً ان يواسيها بداية، وحاول كسر الجدار الذي

أحاطت به نفسها، للحماية من الأذى. وما ان ربحها، حتى خسرها مجددا عند ظهور ماكس. لكن كلا. لم يربح جوليا بالكامل. لقد استلطفته وارتاحت إليه، لكنها لم تحبه. كان قلبها لازال متعلقا بماكس. كانت غير ميالة للإنفتاح عليه كما كان الحال مع ماكس، خصوصا بعدما انهارت آمالها وأحلامها وزواجها من ماكس. كانت حذرة جدا في علاقتها معه. وهو الآن يمثل نفس الدور مع إميلي، يرفض الإعتراف بتسمية هذا الزواج كزواج حقيقي، بل يطلق عليه اسماء وأوصاف لا تتطابق وواقع الحال، ربما لحماية نفسه من الاذى الذي لحق به على يد جوليا.

كانت علاقة جوليا ولوك غير متناغمة ولا يسودها أي اتفاق وقد اقنع نفسه بالقبول بالصداقة، بالإحترام والإعجاب المتبادل. كذلك بتبني عائلة جاهزة، وبعلاقة وطيدة تدوم مدى الحياة، وبأنه لن يعود من عمله ليجد الطعام المثلج بانتظاره، وبيتا هادئا يعمه الصمت. ثم جرى التعرف على بعضهما البعض هو وإميلي عن قرب، بعد الاتفاق. وظهر له سخف ما اتفق عليه. كيف يمكن لشخصين راشدين ان يعيشا

تحت سقف واحد ويربطهما رباط زوجي، ان يبقيا بعيدين عاطفيا عن بعضهما البعض؟ كيف يمكن لعلاقة كهذه ان تكون سوية؟ عندما حضنها تلك الليلة منذ ثلاثة اسابيع، تغيرت نظرته لإميلي، وبدّل موقفه مئة وثمانين درجة، وقرر ان يسير بالزواج في الطريق الطبيعي السوي، ويلغي الإتفاق الشفهي. ماذا كان سيحصل لو كانت ردة فعل اميلي مختلفة وأصرت على تنفيذ الإتفاق بحذافيره؟

لقد استجابت له على الفور وبادلته القبلة، وضمته وعانقته، واستكانت للمسات يديه، وقايضت الصداقة بالحب الحقيقي، ثلاثة اسابيع مرت، ولم يتناقشا فيها بالتأثير النفسي الذي احدثته هذه القبلة. ولم يف بوعده لها بالمغازلة، ولا بإصطحابها الى عشاء، او رقص ولا قدم زهوراً.

كان منشغلاً جداً في المستشفى. وازداد الأمر سوءاً حين اصيبت سارة برشح حاد، وتلاها ميشال، مما شغل اميلي اسبوعا كاملا هي الأخرى. المرة الوحيدة التي شاهدها فيها لوحدها كانت عندما جاء ليضع بين يديها قائمة المدعووين لحفلة الزفاف. في اليوم التالي

كان سيصحبها الى العشاء في احد المطاعم القريبة، عندما رن جرس جهازه، وكان المتصل المستشفى، لأن هناك حالة طارئة تستدعي حضوره. ولبى نداء الواجب وتناسى امر العشاء.

لقد انقلب باص مدرسي، ووقع في حفرة، وكان ينقل اولاداً في طريقهم لإقامة مخيم، وجرح اكثر من عشرين طفلا. العديد منهم، احتاج لإجراء عملية. وكان لوك يغطي مكان جراح زميل كان في إجازة خارج البلاد. وبالطبع زاد هذا الحادث من أعبائه المهنية الأساسية علاوة على تغطية غياب زميله، مما استدعى بقاءه في المستشفى لساعات وساعات تكاد لا تنتهي. حتى انه امضى ليالي بكاملها ينام على المقعد الجلدي المتهالك في مكتبه في المستشفى. والأيام العشرة الأخيرة كان الكل مشغولا بتوضيب الحاجيات تمهيداً للانتقال الى المنزل الجديد، وتم التخلص من بعض الأثاث القديم، وإجراء المقابلات مع المالكين الجدد لإجراء الترتيبات النهائية لانتقال الملكية بعدما تم بيع المنزلين. لكن كان لكل ذلك تأثير عكسي على إميلي. فبدل ان تسود الألفة والصراحة، اصبحت

تشعر بالحياء من لوك، فبدت وكأنها خائفة منه وتخشاه، عندما ينتهي كل هذا، وتصبح وإياه لوحدهما في المنزل، الجديد الكبير، والولدين بعهدة مادج تلك الليلة. ترى ما سيكون عليه الحال. هل سيتصرف معها ببرود، ويدير لها ظهره، ام يتصرف كرجل عاشق محب يؤججه الشوق والحب.

كانت حائرة وخائفة ولا تدري ماذا ستتوقع. ناهيك عن الاهمال والبرود الذي رافق الاسابيع الثلاثة الأخيرة. كان مستغرق تماما في عمله لدرجة أنه اهملها وتناسى وجودها. ربما كانت مشغولة، لكنها تمنت من باب التغيير ان يلتفت إليها ولو لمرة واحدة، لليلة واحدة، لعشاء واحد، لساعة واحدة تقضيها برفقته.

قطب لوك أسارير وجهه عندما تذكر، ان الأمر استدعى اميلي ثلاثة أيام لتتمكن من نزع خاتم الزواج القديم وتستبدله بالخاتم الذي أهداه لها. لكنه لم يسألها لماذا تأخرت في اتخاذ هذه الخطوة كل هذا الوقت. كانت

كانت قبلة المساء عند باب منزلها هي الفترة الوحيدة التي ينفردا فيها ببعضهما البعض... ولاحظ لوك ان عازف الأورغ

راح يعزف المقطع الذي يعلن قدوم العروس. وقف المدعوون وواجهوا الباب والتفت هو كذلك، وسبقه ميشال ليتمكن من الرؤية بشكل أفضل، من رؤية أمه وأخته قادمتان.

التقت نظرته بجوليا اولا، وقد ارتدت احدث اثوابها الحريرية المميزة، واسدلت شعرها الأسود على كتفيها. بدت رائعة الجمال. وكان ماكس يضع يده على كتفها ويهمس في أذنها شيئا ما، فاستدارت وقبلته على خده.

ابتسم لوك، وشعر بسعادة لأنه دعى ماكس وجوليا لحفل زفافه. بدت جوليا سعيدة، وكان هو سعيدا لسعادتها، وكان مظهرها قد زوده بآخر اثبات ان الماضي قد دفن وانتهى. وحان الوقت للنظر نحو المستقبل.

ظهرت سارة في آخر الرواق، ترتدي ثوباً اصفر. كان وجهها الصغير مقطبا، وراحت تمشي بحذر على السجادة التي تغطي الارض، وتنثر اوراق زهرة صفراء كلما تقدمت خطوة، باتجاه لوك. وعندما وصلت إليه رفعت بصرها وابتسمت، ربما لأنها احسنت التصرف، ثم مشت ووقفت جانبا.

اطلت اميلي بفستان العرس الاصفر، يتهادى

أمامها وخلفها، وقد علت اساريرها تقطيبة مثل تقطيبة سارة، رفعت ذقنها عاليا، وغطت شعرها البني بقبعة صفراء من نفس لون فستانها.

شعر لوك بالضياع الكامل، وتحرك خلال مراسم الزواج وكأنه آلة وليس بشرا، كأنه في حلم. كانت سارة تمسك بثوب والدتها، بينما أصيب ميشال فجأة بالحازوقة، مما اضحك رجل الدين، وهو يتابع قراءة المراسم.

قال:«يمكنك ان تقبل العروس الآن.» سيتذكر لوك قسمه انه سيفعل كل ما في وسعه للوفاء به الآن وإلى الأبد لإسعاد اميلي، وان يكون اهلا لثقتها.

* * *

نهض ماكس رافتري وقد رفع الكوب بيده في داخل المطعم الذي اختير لتناول العشاء بعد حفلة الزواج مباشرة وقال:«في صحة الطبيب لوك مانينغ والسيدة مانينغ. لتكن الرياح دائما من ورائك، والشمس تسطع على وجهك، والمطر يسقط بهدوء على حقولك. نتمنى لك حياة سعيدة مليئة بالحب.»

ترقرقت الدموع في عينيها ثم نظرت الى خاتم الزواج الجديد والى جانبه خاتم الماركيز الثمين،

دلالة على الرباط الزوجي. اصبحت الآن السيدة مانينغ.

كانت حفلة الزفاف قصيرة لكن غنية بوجود سارة وميشال كمرافقين. وقد نسي ميشال في أي جيب وضع الخاتمين، وربما هذا ما سبب له الحازوقة. لم يغضب لوك، بل لاحظت أنه يبتسم.

اخذت مادج سنكلير دور والدة العروس، وبكت عندما تبادلا يمين الوفاء بالعهود، ورددت لمن يريد ان يسمع، أنها عرفت ان الأمر سيتم عاجلا أم آجلا.

لم تتذكر اميلي سوى جدية لوك وهو يتلفظ بالقسم، مما جعل عيناها تترقرقان بالدموع. كانت القبلة في نهاية الاحتفال، تأكيدا على الشغف والقسم الصامت الذي تبادله معها. كل ذلك كان يعطيها جمالا وإشراقا. وهذه الذكرى ظلت تعاودها بينما كانت تقف الى جانب الزوج العزيز، تتلقى التهاني، ووجهها ينضح بالسعادة الى ان وضع ذراعه حول خصرها وقال:«اميلي، اريدك ان تقابلي جوليا وماكس رافرتي.»

لم تكن إميلي مستعدة لا للنظر ولا للتحدث الى

حب لوك القديم، للمرأة التي دفعته ليقوقع نفسه داخل صدفة يصعب اختراقها، لسنتين طويلتين كاملتين. المرأة التي حطمت احلامه دفعة واحدة، وجعلته يعرض عليها زواجا صوريا، لأنه لم يتعاف من حبه لها، بدل ان ينظر لعلاقة نارية توقد كل مشاعره، وتكون افضل من تجربته السابقة التي اشترك فيها مع جوليا. ثم ان مسألة الغيرة. هل تكذب اميلي على نفسها وتدعي انها لا تشعر بالغيرة من جوليا. بلى انها تشعر بالغيرة. كان مارك يغار بشكل لا يعقل، منذ ان كانا في الصف التاسع، ومنذ ان وضع خاتم الصداقة في إصبعها. كانت اميلي تحاول خنق شعور الغيرة من جوليا ومن علاقتها بلوك، فالغيرة مرض قاتل يقتل الحب، ويميت القلب، ويحول أي عاطفة هباء منثور. وقبل ان ترفع عينيها لتنظر في عيني المرأة التي نافستها على قلب لوكوالتي ظهر اسمها في قائمة المدعووين لحفلة الزفاف شعرت اميلي وكأن الأرض مادت بها، وبالكاد تحاملت على نفسها.

قالت جوليا تخاطبها، بعد ان قبلت وجنتها، وابتسمت: «إميلي انا سعيدة بمقابلتك. انت كما

وصفك لوك وأكثر. وطفلاك رائعان. لقد بكيت طوال الاحتفال بالزواج.»

ابتسمت لها اميلي وتذكرت ان عينيها كانتا تدمعان فعلا وتعابير وجهها تدل على صداقة ومودة، خالية من أي نظرة استعلاء. كانت المرأة فعلا سعيدة من اجلها. وماكس الذي أخذ على عاتقه الإحتفال بالعروسين الجديدين، وقبلته لها للتهنئة دلت على ان لا شيء في قلبهما سوى الطيبة والصداقة. ثم تمنياته لها وللوك بالحياة المديدة السعيدة.

لو لم يعد ماكس لجوليا، لما كانت تقف الآن بصفة السيدة مانينغ .

تبخرت كل الكراهية التي تصورت انها ستنتابها عندما تراهما. وحين أصر لوك على دعوتهما. ولامت نفسها على هذه المشاعر العدائية التي لا داعي لها. بديا سعيدين بهما وبالولدين، ولم يظهرا سوى المحبة والصداقة.

وقف لوك وقال: «اشكر زوجتي العزيزة اميلي مانينغ التي منحتني اليوم اكثر مما يستطيع أي رجل ان يحصل عليه. منحتني يدها، وثقتها، وميشال وسارة. وسأبقى ما تبقى من حياتي اعمل كي اجعلك لا تندمين على قرارك القبول بي كزوج. »

ارتفعت الاصوات المتمنية للعروسين ببقاء هذه اللحظة السعيدة الى الأبد.

ضمها إليه، وهو يشعر بسعادة لا توصف.

جلسا مع الضيوف لتناول العشاء. لقد تقابلا عن طريق ولديها، وتمت الخطبة في جو من الصداقة، ثم تزوجا، وها هما الآن زوجان يفيضان حبا وعاطفة. ابتسمت ابتسامة نابعة من القلب. الاحترام، فالصداقة، والليلة سيتوج كل ذلك بالحب، أيمكن للاعتراف بالحب ان يتأخر اكثر من هذا؟ نظرت في اعماق عينيه الواسعتين البراقتين ووسامة الحب! حتى الآن لم يتلفظ الا عند القسم «ان أحبها وأرعاها» ولكن عما قريب، وربما الليلة سيتفوهان بها مرارا.

احست بيد لوك تمتد إليها من تحت الطاولة كنوع من التاكيد. عندما استدار ليتحدث مع احد الضيوف، كان احد المدراء في المستشفى الذي يعمل فيه. سمحت لسارة ان تجلس في حضنها، وتسند رأسها على كتفها، ثم تضع اصبعها في فمها دلالة على ان موعد نومها قد حان.

مسكينة هذه الطفلة. لقد امضت يوماً طويلاً

مضنياً، وأجهشت بالبكاء اكثر من مرة، وارتاعت من مهابة الاحتفال وطقوسه، والوجوه الغريبة التي طالعتها، وكلمات الاطراء التي سمعتها لأدائها وجمالها، وجمال ثوبها، وما الى ذلك من عبارات المجاملة.

ظهر ميشال وقد نزع سترته، وربطة عنقه مائلة، وجانب من قميصه قد تدلى.قال:«امي؟ لقد أكلت قطعتين آيس كريم. هل في ذلك أذى. العمة مادج تقول اننا يجب ان نعود معها الى المنزل. اريد ان اذهب، تبدو سارة متعبة ومعدتي لا تبدو بحالة جيدة.»

سمع لوك ما قاله ميشال، فاعتذر من محدثه، ووضع ميشال في حضنه وقال:«ما الأمر ايها النمر. هل تعبت من الاحتفال؟»

اجاب ميشال:«اعتقد ذلك.»

تناولت اميلي المنديل الورقي ومسحت بها طرف فمه الذي كان ملطخا بالآيس كريم.

اضاف ميشال:«تقول العمة مادج انه يجب ان نترككما بمفردكما الآن. أمي لماذا تريدين ان تكوني بمفردك. الا ترديننني انا وسارة بعد ا لآن؟»

اخرجت سارة اصبعها من فمها، وطوقت عنق

والدتها بقوة وتشبثت بها وقالت:«لا اريد ان اذهب يا أمي مع العمة مادج، اريد الذهاب الى بيتنا الجديد معك ومع ميشال وفريد.»

اضافت اميلي:«والدكتور مانينغ.»

قالت سارة محتجة:«هل عليك ذلك؟ حسناً، وهو ايضاً على ما اعتقد. لكن ارجوك يا أمي اريد ان ابقى معك.»

ابتسم لوك، لكن اميلي لم تجد اي سبب للابتسام للورطة التي اوقعتها فيها سارة. كانت ممزقة بين شعورين، شعورها تجاه ولديها، وشعورها تجاه زوجها الجديد. لكم تمنت ان يكون الولدان في المقعد الخلفي من سيارة مادج سنكلير. امس كانت اما، وغدا ستكون أما كذلك. لكن اليوم، الليلة فهي عروس. ألم يلاحظ لوك ذلك؟ الم يشعر انه يجب ان يكون زوجا بحق؟ الواضح انه لم يشعر.

قال لوك وهو يدير ذقن ميشال ويوجه كلامه لها:«اميلي ماذا ترين؟»

اشاحت بوجهها كي لا تفضحها عيناها. ماذا ترى. ولديها وهما غاليان، وزوجها الجديد وهو غال ايضا. ايهما ستضحي به من اجل الآخر، ولو لليلة واحدة. أي نوع من الأمهات هي.

ايمكن ان تغار من ولديها؟ ماذا عليها ان تفعل؟ وماذا يمكنها ان تقول؟

انقول، آسفة يا أولاد. لدي مشاريع اخرى الليلة، وانتم لا تدخلون فيها. لكن هذا ليس شعورا انانيا، بل شعورا يائسا. ولم يكن الوقت وقت الخوض في معركة مفاضلة بين الزوج والولدين. الافضل ان تبدأ بداية جيدة مع الزوج ليلة الزفاف. لكن الافضل لمن للوك؟ لا؟ لسارة؟ قالت بشيء من التردد:«اعتقد ان الفطور سيكون لأربعة.»

اجاب لوك بابتسامة مشجعة:«لخمسة يا اميلي. انت، سارة ميشال، أنا فريد.» وهو يداعب سارة تحت ابطيها، حتى انقلبت دموعها وبكاؤها لضحك عال. تابع مداعبا:«آه، فهمت الآن لماذا قبلت الزواج بي، من أجل كلبي.»

ابتسمت وغالبت شعورها الذي كان يدفعها لخنق الرجل الذي اختارته زوجا لها.

* * *

عندما يصل الأمر للأفكار السيئة لا أحد يتفوق عليه في طرحها والتحدث عنها. فهو

يعتقد أنه أحب مرة واحدة فقط في حياته. تقدم من امرأة بالكاد تعرف عليها. اشترط علاقة صداقة يمكن ان تتطور لاحقا لعلاقة حقيقية زوجية يكتنفها الحب. ثم نقض كل ذلك بالإعتراف انه يحب عروسه، من دون ان يشركها في هذه المعلومة.

الوقوع في الحب ليس فكرة سيئة بحد ذاتها، بل العكس فكرة رائعة وغير متوقعة، لكنها كانت معكوسة تماما. بدأ من الأخير، كمن يمشي للخلف بدل ان يسير للأمام. أصبح الآن يتطلب الكثير من الجهد والإقناع، ليقنع إميلي انه فعلا يحبها وأنه إذا استجاب لها فليس بدافع غريزة، بل لأنه يحبها ويريد ان يسعدها.

والآن جمع كل الافكار السيئة في فكرة واحدة عندما اقترح ان يرافقهما الولدان في ليلة زفافهما.

اخذ لوك يزرع ارض غرفة العائلة، وقد رمى بسترته وربطة عنقه، وينظر نحو المطبخ، ثم ينظر الى الساعة المعلقة فوق المغسلة.

كان قد مضى ما يعادل الساعة على اميلي مع الاولاد في الطابق العلوي. وقد رفضت

سارة ان تنام الا إذا تمددت اميلي الى جانبها على السرير الوثير العريض. ربما كان هناك وحوش تحت السرير. نظرت نحو لوك، وكأنها تكرهه وتحقد عليه، وتلومه لأنه أخذها من غرفة نومها القديمة، ولأنه اخذ كذلك أمها. وتراءت له تلك الفكرة ولم يرتاح لها.

كانت الساعة قد بلغت الحادية عشر ليلاً، ولم يظهر أي أثر لإميلي. يبدو ان سارة قد ربحت الجولة الأولى من معركة الإرادات.

وسمع صوت ميشال يأتيه من خلفه.«دكتور مانينغ؟»

التفت فرأى ميشال بثياب النوم، وياقته مرفوعة للأعلى.

قال:«ماذا وراءك أيها النمر. ما الأمر؟ هل احتلت الوحوش غرفة نومك كذلك؟» وأشار إليه ليقترب منه.

اومأ ميشال برأسه نافياً. تراجع لوك عن كلامه. لعلمه ان ميشال لم يفهم سخريته، وقال:« لا عليك، هل شاهدت كابوسا؟»

قطب ميشال جبينه وقال:«سارة طفلة. لا يوجد شيء إسمه الوحوش، إنها نائمة الآن، هي وأمي، لقد تأكدت من ذلك قبل هبوطي الى

هنا.» تابع ميشال بعد فترة:«ماذا يفترض بي ان اناديك الآن؟»

فكر لوك: المغتصب قد يكون الإسم المناسب، لكن لو تعرف سارة معنى الكلمة. الغبي الذي سمح بحالة كهذه. هو ينتظر، وزوجته او عروسه تنام ملء جفونها بالقرب من ابنتها، بدل ان تعد نفسها للنوم في احضانه. لا يهم، فإميلي لا شك غاضبة ايضا لإفساد ليلتهما الأولى.

قال:«تعال الى هنا يا نمر.» وأشار إليه ليجلس قربه على الأريكة. كانت ملامحه متيقظة تماما لما سوف يسمعه. حاول لوك ان يتذكر ما قالته اميلي، عما يتذكره ميشال عن أبيه. ليس الكثير. كان يود ان يناقش امور كثيرة عن مارك كورنيل. لكن اميلي لا يبدو انها كانت راغبة حتى بذكر مارك. واعتقد هو انه داعي للإلحاح عليها. لكن الآن بوجودها فوق إما نائمة او متظاهرة بالنوم وقد طرح ميشال السؤال الذي كان يتوقعه فقال:«لا ادر ايها النمر. ماذا تريد ان تناديني.»

هز ميشال كتفيه وقال:«لوك؟ هذا ما سمعت أمي تناديك به.»

اخفى لوك خيبة أمله وقال:«فليكن إذن لوك.

ارأيت كم كان الأمر سهلا. اتريد ان تشرب كوبا من الماء قبل النوم؟»

قال ميشال:«كلا شكرا يا دكتور مانينغ. اقصد لوك. عمت مساء.»

رد لوك:«نم جيدا أيها النمر.» وتبع الولد حتى اختفى خلف الباب.

تبخر نشاط ذلك اليوم، والذكريات الحلوة لحفلة الزفاف وتبادل القبلات، وكل شيء جميل دفن الآن تحت الشعور انه قام بكل شيء بالطريقة الخاطئة.

هذا البيت الكبير الجميل، اصبح قوقعة يحبس داخلها عائلته الجاهزة، هذه رغبته التي اعتقد انها قد تعوضه كل المشاعر الجميلة التي فاتته في السابق.

الآن اصبح لديه عائلة، واكتشف ان هناك حبا اكثر واقعية من ذلك الذي شعر به تجاه جوليا. وهو أساس يمكن له ولإميلي ان يبنيا حياة رائعة عليه. ومع كل الغباء الذي رافق تصرفاته، لكنه تعثر وعثر على السعادة. لكن كل شيء حصل بطريقة خاطئة.

ان حقيقة ما فعله، والطريقة التي فعله بها، نزلت عليه كغمامة سوداء بينما كانت الساعة

تدق، نام حيث هو على ا لأريكة، ينتظر عروسه التي كانت تحتضن ابنتها، بينما قطع الثلج كانت تذوب في كوبه.

الفصل التاسع

كان ضوء النهار قد بزغ وأضاء المطبخ الفسيح، من خلال الستائر المسدلة، واتخذ كل من ميشال وسارة موقعهما على كراسي المطبخ، بانتظار ان تنضج الفطائر الشهية التي كانت تخبز في الفرن، وقد فاحت رائحتها الشهية.

سكب لوك لنفسه كوبا من عصير البرتقال الطازج، ولباقي افراد العائلة كذلك، وسكب لنفسه فنجانا من القهوة السريعة. واتخذ ركنا وأخذ يرشف بهدوء. لقد أصرت إميلي على الاحتفاظ بالأبريق القديم للمنزل ا لجديد، بحجة ان ولا آلة كهربائية، تضاهي ما يقوم به هذا الإبريق، الذي كان له منزلة خاصة في قلبها. وتجاوزها، وكانت قد انتهت قبل قليل من أخذ حمامها صباحا. لقد نهض الجميع مبكرين، وجاؤوا ومعهم فريد بعدما فتحوا باب المرآب له، فركض مسرعا حيث كان لوك يتمدد. وعدا عن سؤاله عما يريد ان يتناوله كفطور بالكاد تبادلت وإياه بعض العبارات بعدما نزل عند الانتهاء من الاستحمام لينضم إليهم. بدوا كأي

عائلة اخرى، حيث لا يتبادل الوالدان الكثير من الكلام.
كان التوتر شديداً وقائماً وواضحاً، فلماذا لم يلاحظه لوك، ولا شمه ولا تذوقه. كل ما تنشقه هو رائحة القهوة، والكيك.
قال ميشال:«لوك؟»
اجاب لوك وبدا حالماً بعض الشيء وقد تنشق رائحة اللحم:«نعم يا ميشال؟»
«يبدو ان الفطور وفطور اليوم التالي للزواج سيكون شهيا.»
تدخلت إميلي مخاطبت ابنها:«ميشال! من سمح ان تنادي الدكتور مانينغ، لوك؟»
تدخل لوك وقال:«اعتقد أني انا من سمحت له بذلك. هل تمانعين؟»
اجابت اميلي بعد تفكير:«كلا. لا أمانع، إذا كنت انت لا تمانع.»
قال:«لا يعجبني ان تنادوني دكتور مانينغ، فهذا يدل على أني غريب عن العائلة. لكن يبقى اسم لوك، افضل من باقي الاسماء، ولا يبدو هناك الكثير لنختار منها.»
اجابت بعدما ناولته طبقاً مليئاً بقطع الكيك:«اعتقد انك على حق.» ضحكت وطلبت

منه ان يضع الطبق على الطاولة. شيء غريب، لقد تصرفوا وكأنهم عائلة واحدة منذ مدة طويلة، يحضرون طعام الفطور.
قال ميشال يريد ان يشارك بالحديث:«لوك، لقد أخبرني السيد رافتري نكتة نهار أمس، اتريد ان تسمعها؟»
اجاب لوك وقد فرح لرؤية إميلي سعيدة:«هيا إروها لنا يا نمر.»
قال ميشال:«حسناً، ها هي. اتعرف كيف نتفادى عضة القرش؟»
سحب لوك كرسيا لتجلس عليه إميلي، وبيدها طبق كبير من اللحم وقد فاحت رائحته مما جعل الجميع يتلهفون.
اجاب لوك:«لا اعلم، كيف نتفادى عضة القرش.»
اجاب ميشال بغرور:«لا تغادر كانساس على الاطلاق.» ونظر نحو والدته يحاول معرفة ردة الفعل على النكتة فرآهم يضحكون.
تدخلت سارة:«لا أفهم، وما هي كنساس هذه؟»
وهي تلعق الشراب عن اصابعها، بينما اخذت اميلي الزجاجة من يدها بسرعة قبل ان توقعها على الأرض.

اجاب ميشال:«لا اعلم يا سارة.» وتبدلت اسارير وجهه امام أخته. «انها مجرد نكتة. أليس كذلك يا لوك؟»

استغرق شرح جغرافية المنطقة لسارة معظم وقت الفطور الى ان رضيت سارة، وبدا عليها الإقتناع. لكنه لم يحفل بتفسير المعنى المبطن ان الإنسان يجب الا يخشى المغامرة والمخاطرة والخروج من بيئته ومحيطه، ويجب ألا يدع الخوف يسيطر عليه، فيبقى حيث هو. وتركت المائدة وهي لا تزال غير قادرة على فهم النكتة.

بينما كان لوك يحاول الاعتذار لإميلي على افساده ليلة زفافها، خرج الولدان الى الفناء ليلعبا مع فريد. وبقدر ما كان يريد الانفراد بإميلي شعر بالحيرة وبالضياع، كأنه مسلوب الإرادة. من أين يبدأ؟ وكيف؟

قالت اميلي:«أسفة لقد غلبني النوم ليلة أمس. نهار أمس كان طويلا ومتعبا، وكنت قد انتهيت من توضيب الامتعة وحمام الاولاد، وتحضيرهم للحفلة، وتحضير نفسي للحفلة. والتأكد من وصول الزهور الى القاعة، وكل الاشياء الاخرى. لم اعرف كم كنت متعبة الى

ان استلقيت، فغفوت على الفور. هل تحسن حال عنقك، رأيتك تمسده. اظن ان الاريكة غير مريحة في النوم.»

قال:«استحق عنقا متصلباً.» وجاء بطبقين آخرين ووضعهما في غسالة الصحون وأضاف:«استحق كذلك ركلة على معدتي. لا أدري لماذا وافقت على طلب سارة. لكن اعتقد اني لم اكن اريد الظهور بمظهر زوج الوالدة الشرير. ربما اردتها ان تحبني.»

اكملت تنظيف الصحون ووضعتها في مكانها وقالت:«كان عليّ ان احذرك مما ترمي إليه سارة. وها قد اكتشفته بنفسك. انها تحبك يا لوك. والواقع هي متعلقة بك. لكن كنت مكرسة وقتي لها كل هذه السنوات. ودخلت انت على الخط كمنافس يهدد مكانتها. أمهلها بعض الوقت. هذا الزواج كان تغييرا كبيرا بالنسبة اليها. لكن من فضلك لا تجعلها تستبد بك، يجب ان تكون حازما معها احيانا ان لزم الأمر. سنعطيها بعض الوقت لتتأقلم الوضع الجديد، ويكوننا اصبحنا عائلة.»

عاد الى لطاولة وبيده كوبين قال:«الوقت، ليس فكرة سيئة. بالنسبة لنا جميعا. اعتقد

اننا جميعاً بحاجة الى بعض الوقت، لإجراء التعديلات اللازمة التي يفرضها الزواج، والانتقال الى منزل جديد. هل كنا في عجلة من أمرنا الشهر الفائت؟»

قالت:«كانت هناك بعض الأمور غير المستحبة اثناء الاحتفال، لكن لا بأس لقد سامحتك.»

قال:«احقا! في اول جدال لنا وقد خسرت.»

قام بحركة مفاجئة اطاحت بفوطة مطبخ على الأرض وتابع:«أمل الا تكون هذه علاقة فال سيء.»

قالت:«لا ادري، لكني احببت هذه الحركة ولا اعتبرها سيئة.»

قال:«اعتقد انك على صواب، يجب ان نضع بعض المطبات لتخفيف التسارع. سيدة مانينغ اليوم الأحد، ولن اعود للعمل إلا نهار الثلاثاء. وقد رتبت الأمر مع احد زملائي ممن يدينون لي بجميل لينوب مكاني. وليس لدينا شيء نفعله إلا ان نتعرف على بعض بصورة افضل، جميعنا.»

ابتسمت وقالت:«يبدو ذلك رائعاً يا دكتور مانينغ، وهي افضل هدية زواج تقدمها لي. هل نقوم بجول في منزلك؟ عفوا منزلنا؟ لم

تسنح لك الفرصة للحضور، وقد اجريت بضعة تعديلات في بعض الغرف، وأريدك ان تطلع عليها، وتبدي رأيك فيها. لقد زرعت بعض الزهور في الفناء الخلفي.»

لمعت عيناه بالحماسة والفخر. كان يعلم انها تعمل بجد وشوق لرؤية ما فعلته، قال:«زرعت زهورا، متى وجدت الوقت لذلك؟ لا عليك. انا سعيد لانك تشعرين انك في بيتك.»

قالت:«وكيف لا اشعر بذلك! زوجي وأولادي يعيشون هنا، فيه.» إلحق بها الى الفناء لرؤية الزهور، ولم يكن بارعا في التمييز بينهما.

ذلك المساء، وبينما كانوا يتفرجون على التلفاز، زحفت سارة إليه، وتوسدت حضنه، وتثاءبت دلالة على انها تريد ان تنام. استقرارها في حضنه هي إشارة على انها تقبلته قبولا حسنا. اختلس نظرة لساعته، حان وقت النوم. كانوا قد امضوا يوما حافلا في فتح الهدايا التي تلقوها..

ضحكت اميلي وهي تخرج حماصة الخبز الثالثة فقال:«لا يتمتع الاطباء بالكثير من الخيال، أليس كذلك؟»

لم تعلق اميلي على السؤال، وأخذت بطاقة

كبيرة وناولته له وقالت:«هيا، خذ هذه واقرأها.»
كانت البطاقة من جوليا وماكس. وكانت دعوة لشخصين، لقضاء عطلة نهاية الاسبوع في احد فنادق مانهاتن الضخمة. يختاراها بنفسيهما. وقد اضاف ماكس بخطه العريض، (لا تنسى ان تأخذ اميلي لأحد العروض المسرحية، عندما تكون هناك، إذا وجدت الوقت لذلك) خارج غرفة النوم!» نظر إليها ولم يحمر وجهها هذه المرة. كانت تبتسم فقط، ابتسامة حالمة بطيئة.
قالت:«مدينة نيويورك! يا للسخف! انها على بعد عدة ساعات، ولم أزرها حتى الآن. هل نستطيع الذهاب يا لوك؟»
اجاب:«نستطيع إذا وعدتني بألا تجيبي على بطاقة ماكس الا بعد عودتنا، وإلا سيظهر على باب الغرفة ومعه فرقة موسيقية لتعزف لنا.»
لاحقا، بعد اتمام الجولة في المنزل، وخططه لإقامة مكتب وعيادة في الغرف الخلفية من المرآب.
حين بدا النعاس على الولدين، اطفأت جهاز التلفاز وقالت:«الثامنة والنصف، حان موعد النوم.» واقتربت من ميشال لتساعد على النهوض.

حمل لوك سارة وصعد بها الى الطابق العلوي. ولاحظ بعض الفوضى. انه المنزل العائلي الآن. تعبق فيه رائحة الزهور، والفشار والطعام ورائحة الاولاد النظيفة. وضعا الطفلين في فراشهما، ثم نزلا الى غرفة الجلوس.
قال يخاطب إميلي:«اتحبين ان تأخذي كوب عصير؟» كان يناجي نفسه ويقول بصوت غير مسموع. انتما بمفردكما الآن وهي رائعة. وانت تريد ان تقبلها، تضمها.»
ابتسمت اميلي موافقة. وقالت:«لا اعتقد ان سارة ستكون مشكلة الليلة، الجولة في الجوار قد ارهقتها قبل العشاء. اقتراح جيد.»
قال:«نعم. انا عبقري.» وناولها كوباً مليئاً بالعصير. ثم تابع:«والآن اذا لم تنتاب ميشال الكوابيس، فقد نمضي امسية ممتعة.»
رشفت اميلي رشفة من كوبها وقالت:«اسمع يا لوك بخصوص ميشال. لا احبذ ان يناديك بإسم لوك. هذا دليل عدم احترام. انت زوج أمه، وليس صديقه الجديد.»
جلس الى جانبها وقال:«وماذا تقترحين ان يناديني به يا اميلي.» سكت قليلاً ثم تابع:«كما انه لا يمكنه ان يناديني الدكتور مانينغ

باستمرار. عندما سألني تركت له الخيار. فاختار لوك.»

قالت:«وأنت سعيد بذلك؟» نظرت إليه بعينيها البنيتين وكأنهما نفس لون عيني ميشال. اما سارة فكان لون عينيها زرقاوين، فإذا رزق بطفل هو وأميلي هل يكون له نفس العينين الدافئتين البنيتين؟

قال:«سعيد؟ كلا لست سعيداً بذلك، سأكذب عليك لو قلت اني سعيد ان يناديني ميشال لوك. سارة لا تناديني بشيء هل لاحظت ذلك. انا اساعدك على تربية ميشال وسارة الى ان ينهيا دراستهما في الجامعة. ربما سيأتي الاحترام لاحقا، وفي الوقت المناسب.»

تقدمت نحوه وجلست ملتصقة به وقالت:«كان ميشال يدعو مارك دادي، لكنه كان صغيرا جدا، ولا اعتقد انه يتذكره. وسارة لا تعرفه اطلاقا. كنت احتفظ بصور لمارك في غرفهما.»

قال لوك:«لكنك تتذكرين يا إميلي، اخبريني عن مارك، من فضلك؟»

لم تنظر في وجهه مباشرة، كان في كلامها وقالت:«لا يوجد الكثير للكلام عنه. كان رجل اطفاء ومات بطلا، لدي الأوسمة التي تؤكد ذلك.»

قال لوك:«وأنت غاضبة لأنه مات، أليس كذلك يا إميلي؟»

لم تكن اميلي تريد الكلام عن زوج ميت، حتى ولوكان بطلا. كانت تريد الكلام زوج على قيد الحياة. قالت:«اعتقد يا لوك اننا يجب ان نتحدث عن انفسنا، لنتعرف على بعض بصورة افضل، وهذا ما كان يجب ان نفعله في السابق قبل الزواج. لم تخبرني انك ستحاول استجوابي.»

امسك لوك كوب العصير وقال بعد ان رشف القليل:«الست على حق؟ لم استطع الاحتفاظ بجوليا، لأن ماكس كان دائما في خلفية الصورة. واعتقد ان لدي نفس المشكلة مع مارك، لانه ينافسني على حبك. لقد اعتقدت اننا سنحظى بزواج ناجح يقوم على الصداقة، التي قد تتحول يوما ما الى حب. هذا كل ما أردته او ما اعتقدت اني أردته لا اريد ان يظل خيط من الماضي يتعقبني يا إميلي.» ثم اضاف:«اعتقدت ان العاطفة انتهت بالنسبة لي، وأني لا اريدها ثانية. لكني كنت مخطئا يا إميلي. اريد العاطفة. انت زوجتي الآن. اريد ان احبك وتحبينني، وأريدك ان تحبيني. لقد

مكتبة الأسرة الإلكترونية www.liilas.com

اصبحت انا وجوليا صديقين، ووضعنا الماضي وراء ظهرنا. لكنك لم تتخلصي من مارك بعد. لست مستعدة لحب آخر.»

تهالكت اميلي على الاريكة، وعيناها البنيتان تتقدان غضبا. بدا وكأنها لم تسمع كلمة الحب فيما يخص علاقتهما. قالت:«انك متعدد ا لمواهب يا دكتور مانينغ. لماذا لم تخبرني انك ضليع بعلم النفس. لكن انت مخطىء، ليس مارك هو من يمنعني من ذلك.»

قال:«اميلي.»

اجابت بعنف:«كلا يا لوك، دعني اتكلم، من فضلك. دعني اخبرك عن مارك، كل شيء عنه، وكل شيء عني. كان يجب ان اخبرك منذ البداية. لقد كنت صادقا معي فيما يتعلق بجوليا. والآن جاء دوري.»

فجأة لم يعد لوك يريد ان يعرف اي شيء عن مارك زوج اميلي الأول. لا يريد ان يعرف كيف تقابلا، ولا كيف وقعا في الحب. او متى تزوجا، او كيف كانت حياتهما معا. لكنه حرك وكر الدبابير، واميلي ليست مستعدة للتوقف الآن.

قالت اميلي:«بدأنا نتواعد انا ومارك منذ الصف

الثامن. لم أواعد احداً آخر. فقد كان الأمر غريبا. عندما تكبر سارة اريدها ان تواعد عشرات الشبان. اريدها ان تختبر الحياة اكثر، والناس اكثر قبل ان تتزوج.» هزت رأسها وأضافت:«لكن هذا من ضمن المستقبل. لنعد الآن لمارك. عندما كنت في سنتي الاخيرة في المدرسة، ومارك في السنة الثانية في الجامعة، توفيت والدتي. وكان والدي قد توفي قبلها بسنة. فأخذني والد مارك الى منزله. ولم يعد هناك مجال للمواعدة وقد حسم الأمر. تزوجت من مارك بعد سنة من تخرجي.»

ابقت رأسها منخفضا قليلا وهي تدور خاتم الزواج في إصبعها مرارا وتكرارا. تابعت:«كان الزواج رائعا. او هكذا كان في البداية. عشنا في شقة صغيرة خارج حرم الجامعة. وكنت اذهب الى لاندرومات لنغسل ثيابنا. وكان مارك يرفض ان أذهب وحدي، فكان يرافقني. كان يقول ان الرجال تنظر إلي. وكنت اسعد بهذا الكلام، خصوصا وأني كنت حاملا بميشال. لكن مارك اصبح يمنعني من الذهاب للتسوق لوحدي، للسبب ذاته. وإن لم أرد على الهاتف عندما يكون في عمله اثناء دوامه كان يغضب.

ثم ترك الجامعة والتحق بفوج الاطفاء. كان يسألني اين كنت وماذا فعلت. عادة كنت آخذ ميشال في نزهة، او كنت اتحدث لأحد الجيران. وكان مارك يذهب الى عند الجيران ويسألهم ليتأكد من كلامي.

اعتقد ان سبب انضمامه لفوج الاطفاء مع والده، كان ليبقي الرقابة علي اثناء غيابه، بإبقاء والده معي في البيت. فكانا يعملان بنظام مناوبة مختلف.»

جمد لوك في مكانه يسمع كل كلمة قالتها إميلي، وحاول ان يتخيل كيف استطاعت اميلي التأقلم مع غيرة بهذه الحدة، لكنه لم يستطع. تصور اميلي شديدة الخضوع لهذه الدرجة لم تكن ممكنة بالنسبة إليه. لكنها كانت صغيرة ووحيدة، ليس لها الا مارك ووالده. ماذا يمكنها ان تفعل غير ذلك؟

قالت:«اصبحت اخشى الخروج من المنزل، حتى لا أغضب مارك، وأخاف من طباعه الحادة الغريبة. وعندما كنت ارفضه لسبب او لآخر، كان يتهمني اني أقابل رجالا غيره بعد الظهر، عندما يكون هو ووالده في العمل، وميشال نائم، كان يغار حتى من ميشال، والوقت الذي امضيه معه.»

نظرت الى لوك، كان في عينيها دموع لم تسقط. أضافت:«لم اكن زوجته يا لوك. بل من ممتلكاته. في النهاية كنت اتساءل فيما إذا كنت قد احببته فعلا. اعرف اني لم أحبه. وعندما توفي مارك عرفت اني حامل مجدداً منه، بسارة. كنت قد قررت حينها ان اتركه، لأنه لم يكن يرغب بإنجاب المزيد من الأولاد، وكنت اريد تحاشي الشجار معه لذلك السبب. حتى لو اضطررنا انا وميشال للنوم على مقعد في الحديقة العامة. كنت اجمع اغراض ميشال عندما اتصل بي رئيس فوج الاطفال وأطلعني على النبأ. بدا وكأنني كنت اريد موته. وبقيت مع والد مارك الى ان مات هو الآخر، بعد سنة من وفاة مارك، في حادث حريق. وبقيت هناك حتى ضاقت بي السبل، والباقي تعرفه.»

حدقت في لوك، الذي بدا صامتاً وبدا مذهولاً باعترافها، وقد لاحظ دموعاً في عينيها اخذت تنهمر بحرية وغزارة على وجنتيها. «ربما كان هذا السبب الأهم الذي جعلني اوافق على عرضك يا لوك. لم تشعرني انني مهددة، ولا كنت شديد الغيرة. كنت تريد عائلة وليس تملكاً. ولم تكن غيورا، لأنك لم تتزوجني عن

حب. كلانا كنا سنستفيد. كانت صفقة رابحة لكلينا.»

وضع كوبه جانباً واقترب منها بهدوء وروية حتى لا يرعبها، قال:«والآن تعتقدين اني غيرت قواعد اللعبة، وأني اريد الاستحواذ عليك، يا اميلي؟»

عضت على شفتها وقالت:«كلا، ليس مثل مارك. الناس تختلف عن الاشياء. هذا المنزل هو ممتلكات. وممتلكات قد يفخر الناس بامتلاكها. لكني بشر. وللحقيقة اعتقدت لفترة انك تتخذني بديلة لجوليا خصوصا عندما قرأت إسمها في قائمة المدعووين. لقد اثار ذلك غيرتي وحاولت خنق هذا الشعور حتى لا أكون مثل مارك. ثم قابلتها ولاحظت انني كنت مخطئة.»

اخذت خطوة باتجاهه. خطوة واحدة ولكنها مهمة لكليهما:«انا لا اشبه جوليا بشيء. انا أم وامرأة كل همها بالحياة ان اكون أماً ولدي منزل وعائلة، ولست خجلة من هذا الشعور، بل فخورة به. قد تكون احببت جوليا يا لوك، لكنك تحتاجني، واعتقد انك تحبني قليلا. وأعتقد انني احبك، بل احبك فعلا بكل جوارحي، لم أقصد ذلك، بل حدث رغم إرادتي. وانت لست

بديلاً لمارك. احبك يا لوك، وأريد ان اؤسس عائلة وبيتا معك. وأريد من اولادي ان ينادوك يا بابا وأريد ان... »

لم يدعها لوك تكمل، لم يكن هناك حاجة لتكمل. عرف ما تريده، بل ما يريد كلاهما. وسار الخطوتين الباقيتين حتى أصبح إمامها مباشرة، وضمها إليه. وعرفا كلاهما معا طعم الحب الحقيقي لأول مرة في حياتهما رغم تجاربهما المريرة السابقة.

الخاتمة

«ماذا تفعلين يا اميلي؟»

وضعت فرشاة الارض الطويلة من يدها، واستدارت لتنظر الى زوجها:«ماذا تظنني افعل يا لوك؟ انا انظف المغطس. لقد جلب ميشال نصف اوساخ الفناء معه الى هنا. ماذا كنتم تفعلون انتم الثلاثة في الخارج؟ تزرعون الشجرة ام تبحثون عن حضارة ضائعة.»

اجاب لوك:«امر مضحك.»

نظر الى زوجته وقد جلس على حافة المغطس،

وجلست هي بدورها والى جانبها كومة من الألعاب البلاستيكية معظمها قوارب، وقد ارتدت روب حمام احمر وأبيض، وظهر جسدها المنتفخ بحملها الذي أتم شهوره التسعة.

قال:«كان بإمكاني ان اقوم بذلك.»

اجابت:«اعلم، ولكني اريد ان استحم، مع ان بن قال انه علي ان اكتفي بالدوش الى ان اضع مولودي. لا ادري ما الأمر، على غير عادتي اشعر بالنشاط الزائد اليوم، مع اني كنت أشعر بالتعب خلال الأيام الاخيرة. اعتقد اني لم استطع الجلوس في هذا المغطس، لأن ميشال وسارة يعتبرانه بركة سباحتهما الخاصة.»

قال لوك:«ربما علينا ان نتصل ببن لنتأكد انه سيداوم في المستشفى اليوم.»

قالت:«لا تكن سخيفا يا لوك. وتوقف عن النظر إلي وكأنني سأنفجر في أي لحظة. لا اعتقد اني سألد قبل... أوه...»

بقفزة واحدة كان قربها وقال:«ما الأمر يا عزيزتي؟ هل تشعرين بشيء؟ بماذا تشعرين؟ هل هو الطفل يا اميلي؟ اميلي؟»

ابتسمت، ولم تظن ان طبيبا جراحاً مثل لوك

قد ينهار هكذا كلما جاءها مغص الولادة. وقد اخبرته مرارا ان الحامل تصاب بالمغص كلما رفس الجنين.

قالت:«لا تجزع يا لوك الأمر مجرد مغص بسيط. ساعدني من فضلك على النهوض، لكن لا داعي للقلق أوه.» جلست ساكنة، وعيناها البنيتان تتسعان، تنتظر المغص التالي.

قالت:«ربما الأمر اكثر من مجرد مغص عادي. هناك فطيرة تفاح في الفرن، كذلك.» ساعدها حتى وصلت الى غرفة النوم. «والآن ابقي هادئة ريثما اتصل ببن.»

اجابت باستسلام:«نعم يا عزيزي. ثم اني احبك عندما تكون متمالكا لاعصابك... أوه!»

قال:«سأتصل بمادج لتأتي وتأخذ الاولاد، سأوصلك الى المستشفى. لقد اخبرتني انك ولدت سارة خلال ثلاث ساعات، لانك صرخت بصوت عال.»

في المستشفى، ارتدى ثياب العمليات، وحاول ان يساعد بن في عملية الولادة، لكنه هدده بطرده خارجا ان لم يكف عن التدخل فيما لا يعنيه.

اقترحت اميلي عليه ان ينتظر في غرفة الانتظار

مع مادج وسارة وميشال. تمت الولادة بسهولة ويسر. وتلقى لوك أول ابنة له بين يديه، وبكى من فرحته. كانت ثمرة الحب والزواج الذي ربط بينهما. وسيزداد هذا الرباط متانة بوجود الطفلة الجديدة وأعطى الطفلة إصبعه فتشبثت به، وكأنها عرفت انه والدها.

شعر لوك بسعادة غامرة تجتاحه. وكما قال بن، كانت إميلي اكثر من رائعة.

عاد بن الى غرفة الولادة وخاطب لوك بقوله، هناك اتصال لك، انه ليس حالة طارئة لكن المتحدث امر ان يتحدث معك. وقال ان اسمه ماكس. سيصلونك به من غرفة الممرضات. وعندما تحدث معه، اقترح عليه ماكس اسم سوزان. وعاد الى الغرفة حيث اميلي وقال لها:«انه ماكس.»

اجابت وقد وضعت الطفلة على صدرها:«قدرت ان يكون هو المتصل. لكن ما لا أعرفه، كيف استطاع الوصول إليك هنا في غرفة الولادة. لا عليك، اعرف كيف استطاع. لا شيء يستعصي على ماكس رافرتي. لكن سؤالي هو لماذا اتصل؟»

رد لوك:«كان يقرأ الصحيفة، وكان هناك

خبر عن فتاة تدعى سوزان فأعجبه الاسم واتصل بالبيت، ولما لم يرد عليه احد اتصل بالمستشفى.»

قالت اميلي:«ماذا؟» بدت حائرة وضائعة.

طمأنها لوك وقال:«لا تسألي يا عزيزتي، لكن استعدي لاستلام طرد فيه قطعة ذهبية محفور عليها شيء ما. لقد جاء الأولاد.»

دخل الولدان بحذر على رؤوس اصابعهما، مخافة ان يلقى بهما خارجا فيما لو ضبطا. وكانت سارة متشوقة لرؤية شقيقتها، فرفعها لوك وضمها إليه وقربها من الفراش لتلقي نظرة على المولودة الحديثة. فقالت:«أوه يا ابي، تشبه إحدى العابي. هل نستطيع الاحتفاظ بها؟»

اجابت اميلي:«الى الأبد يا عزيزتي. حتى عندما تكبر وتبدأ العبث بالعابك.»

القى ميشال نظرة هو الآخر وقال:«ابي، هل المفروض ان تكون بهذا الصغر، ومد يده ليلمس قدمها التي ظهرت من تحت الغطاء.»

«فتاة اخرى! يبدو أنها ظريفة، لكن كنت اتمنى لو كانت صبيا.»

اجابت اميلي:«ربما المرة القادمة يا عزيزي الغالي.»

هتف ميشال:«متى أبي متى سيحصل ذلك؟»
قال لوك وإميلي بصوت واحد:«أوه يا ميشال.»
جاءت الممرضة لتأخذ الطفلة لقياس وزنها وحجمها، لكن عندما وجدت العائلة السعيدة متحلقة حول الطفلة، تراجعت وقالت:«سأعود لاحقا.»

تمت

Eman
www.liilas.com